الفصل الثالث
بعض المشكلات البيئية وطرق علاجها من منظور السنة النبوية

- تمهيد.
- مشكلة التلوث الهوائي.
- مشكلة التلوث المائي.
- مشكلة التلوث الضوضائي.
- مشكلة التلوث الغذائي.
- مشكلة التلوث الخلقي.
- مشكلة الفقر.
- مشكلة زيادة السكان.

بعض المشكلات البيئية وطرق علاجها من منظور السنة النبوية

تمهيد:

إن الأزمات البيئية ليست وليدة العصر الحديث بل إنها قديمة قدم الحضارات المختلفة ومع ذلك فإن الاختلاف بين ذلك والآن هو أن الأزمات الأولى كانت تميل لأن تكون إقليمية ومحلية أما الآن فإن الأزمات الحالية تعد عالمية في مداها كما أن معظم مشكلاتنا البيئية أكثر تعقيدا مما تبدو في الظاهر.

وفي العشرين عاما المنقضية احتلت المشاكل البيئية مكان الصدارة مثل طفح البترول بكميات كبيرة والحوادث النووية والأمراض على اختلاف أشكالها، والموت من جراء النفايات النووية، واختفاء الغابات وتقلص طبقة الأوزون كل هذه الأشياء أصبحت من الضخامة بحيث لا يمكن تجاهلها.

وانطلق خلال العقدين السابقين أحداث " يوم الأرض " التي "اشترك فيها ٢٠٠مليون شخص من ١٤٠ دولة"(١) لمناقشة المشاكل البيئية ووضع الحلول اللازمة لحل تلك المشكلات ولكن حتى اليوم ومع مطلع القرن الحادي والعشرين وبعد انعقاد قمة الأرض مرة أخرى عام٢٠٠٢م في جوهانسبرج بجنوب أفريقيا والمسماة بقمة التنمية المستدامة لم يتم حل المشاكل البيئية على الصورة المتوقعة أو المخطط لها.

وتحدث المشكلة البيئية عندما تتجاوز المطالب البيئية مقدرة الفرد على مواجهتها وبذلك تحدث الآثار الجسمية والنفسية السيئة على الفرد، وتعتبر البيئة الطبيعية مصدرا للعديد من الأخطار الجسيمة وعادة ما يميل البشر إلى تجاهل هذه المخاطر ويحاولون التعامل مع المخاطر بعد حدوثها بالفعل بدلا من الوقاية منها.

---

(1)Cahn, R., & Cahn,P.,"Did Earth Day change the world?" Environment, No.7 , (New York:Mc graw-Hill Book Co., 1990) ,P. 16.

ولسوء الحظ تبتعد المشكلات البيئية عن الجماليات بل تمتد فتسمم البيئة من خلال التلوث بكل أشكاله بحيث ينتج عنها آثارًا جانبية آثارا جانبية يمكن أن تكون مميتة ويمكن تفسير آثار التلوث البيئي على الصحة إلى آثار حادة أو مزمنة وفيما يتعلق بالآثار الحادة للتلوث فهي تظهر سريعا وتتراوح بين الصداع إلى إثارة التشنجات والموت أما بالنسبة للآثار المزمنة فتستغرق وقتا في الظهور وعادة ما تكون خطيرة مثل أمراض السرطان والرئة والقلب والعيوب الخلقية الناتجة عن المخلفات النووية والاضطرابات العصبية وغيرها من الآثار السيئة على صحة الإنسان .

وتتطلب دراسة البيئة في العصر الحالي " رؤية منهجية أي فلسفة جديدة للمنهج تهدف إلى تغيير الأسس العقلية والثقافية لتصورنا للبيئة إذ أن الأزمة البيئية الحالية أزمة تصور وإدراك ويقع على التربية البيئية مسؤلية إيجاد تصور صحيح لبنيان البيئة وتفاعلاتها ومن الخصائص الأساسية للاتجاه الجديد إبراز العلاقة الوثيقة بين النظم البيئية الطبيعية والبيئة الإنسانية مما ينتج عنه نظرة شاملة للبيئة وإيجاد توازن ديناميكي بين البشرية والطبيعة وفي ضوء ذلك يخطط الإنسان سياسة سليمة للبيئة تساعده في تدبير شؤونها"(١) .

والسنة النبوية إيجابية وواقعية تنمو الحياة في ظلها وترتقى فهي نظام كامل لحياة مثالية كاملة ، يكتمل فيها للفرد وللجماعة وسائل الأمن والسعادة والسلامة والتمتع بكمال الصحة وموفور العافية وعلاج للمشكلات البيئية المختلفة،ويحاول الباحث في هذا الفصل أن يعرض لأهم المشكلات البيئية المعاصرة وطرق علاجها من منظور السنة النبوية

(1) Antonio Horoni, Interdisciplinary and Environmental Education , vol 3 (Italy :Prospects Review,1990) P.481.

أهم المشكلات البيئية :

مشكلة تلوث الهواء :

الهواء أساس الحياة كالماء وبدونه لا توجد حياة لما يتضمنه من أكسجين يغذي دماء الكائنات الحية ، " والهواء هو كل المخلوط الغازي الذي يملأ جو الأرض بما في ذلك بخار الماء وهو يتكون من عدد كبير من العناصر والمركبات الكيميائية يقدر ما هو معروف منها حتى الوقت الحاضر بنحو ١٠٠ عنصر ومركب "(١)

والله سبحانه وتعالى خلق الهواء فقدره تقديرا فلا يزيد ولا ينقص فهو محكم الصنع لحياة الإنسان على الأرض فقد قال الله تعالى :-

(.....وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝)

[الفرقان:٢]

ولكن الإنسان أحدث ما يعكر صفو هذا النقاء الرباني والنسب الدقيقة التي لا ترتفع ولا تنخفض إلا في ميزان منتظم فقد لوث الهواء وجعل نسبه تختل فعاد ذلك بالشقاء عليه مما يضطره إلى أن يحاول العلاج بعد أن استفحل الأمر وزادت خطورته .

ومما لاشك فيه أن وسائل التكنولوجيا الحديثة والتطور المذهل في استخدام الطاقة وخاصة البترول ومشتقاته أحدث خللا كبيرا في تركيبة الهواء الجوى وذلك لاعتماد المصانع ووسائل النقل على كميات ضخمة من الوقود والفحم " ونتيجة لاحتراق هذه الكميات من الطاقة تبعث الملوثات الجوية وتنقلها الرياح من مكان إلى آخر مما يهدد البشرية وتسبب أمراض خطيرة مثل أمراض التنفس"(٢) ، كما يعد تلوث الهواء من أكبر المشاكل التي

---

(١) محمد عبد القادر الفقى ،مرجع سابق ، ص٣٦.

(2) Weinstein,C. S. Environment attitudes and the prediction of behavior,(New York:Praeger,1991),P25.

تواجه المجتمعات المعاصرة وبخاصة الدول الصناعية وتزداد مأساة هذا النوع من التلوث عاما بعد عام نتيجة للزيادة التركمية في حجم الملوثات التي ينفثها الإنسان في الأجواء .

ويعتبر الهواء ملوثا إذا حدث تغيير كبير في تركيبه لسبب من الأسباب أو إذا اختلط به بعض الشوائب أو الغازات بقدر يضر بحياة الكائنات التي تستنشق هذا الهواء وتعيش عليه.(١) هناك مئات الأنواع من ملوثات الهواء (٢) :

الملوثات الناتجة عن احتراق الوقود العضوي كالبترول والفحم وهي من أكثر الملوثات تأثيرا في مكونات نظم البيئة والملوثات الناتجة عن المخلفات الصناعية و الملوثات الناتجة عن حرق أو إعادة استخدام المخلفات الصناعية و البكتريا والجراثيم الناتجة من تحلل النباتات والحيوانات الميتة والفضلات والمواد الصلبة العالقة بالهواء مثل : الدخان ، وعوادم السيارات ،و أتربة الأسمنت ومواد البناء وأتربة المبيدات الحشرية و الغازات السامة مثل : أول أكسيد الكربون ، ثاني أكسيد الكبريت وكبرتيد الهيدروجين والأوزون وتحتل الملوثات الغازية النصيب الأكبر في تلويث الهواء والإشعاعات الذرية : من مصادر طبيعية (كالرادون) و من مصادر صناعية (المفاعلات النووية) .

ويعتبر تلوث الهواء والماء نتيجة مباشرة للسلوك الإنساني حيث الأنهار والبحيرات والمحيطات قد تلوثت بواسطة الآفات الزحفة وماء المجارى والمخلفات الصناعية ويقع الزيت وأكوام الفضلات وقد دمرت مجتمعات بأكملها بسبب المخلفات المسممة .

---

(١)أحمد مدحت إسلام ، التلوث مشكلة العصر، مجلة عالم المعرفة ،ع١٥٢،(الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٠م) ، ص ٢٢

(٢)محمد كمال عبد العزيز ، الصحة والبيئة : التلوث البيئي وخطره الداهم على صحتنا ، (القاهرة : دار الطلائع ، ١٩٩٨م) ، ص ص ١٦ ،١٧.

كما يؤثر تلوث الهواء على العمل والسلوك الاجتماعي ، فقد أشارت بعض الدراسات إلى أن "هناك ارتباطا بين مستويات العالية من الضباب والدخان وزيادة معدل الاضطرابات الأسرية"(١)

ومن أخطر الملوثات الهوائية في العصر الحديث أول أكسيد الكربون الذي يعد المكون الأساسي في عادم السيارات وارتبط بنقص قدرتي الانتباه والتعلم كما أن هناك قدرات أخرى تضطرب بواسطة أول أكسيد الكربون مثل الحكم على الزمن وزمن رد الفعل والمهارة اليدوية واليقظة وهناك مشكلة أخرى خطيرة تتعلق بالغلاف الجوى وهي تآكل طبقة الأوزين نتيجة استخدام مادة (كلوروفلوركربون) مبردا في مكيفات الهواء والثلاجات ومادة دافعة للدخان أو الضباب(٢) وهذه المادة تعجل من تحلل الأوزين الذي يحمينا من أشعة الشمس الضارة مما يصيب الإنسان بأمراض خطيرة مثل سرطان الجلد والعين.

وليست جميع مشكلات تلوث الهواء توجد في الخلاء فقد ازداد اهتمام الناس بنوعية الهواء الذي يتنفسونه داخل المباني وكان هناك خلاف حاد حول أحقية المدخنين وغير المدخنين في الأماكن العامة وتشير البحوث بوضوح إلى أن غير المدخنين يتفاعلون سلبيا مع تدخين السجائر على المستوى الانفعالي والسلوكي جيدا ويشعر غير المدخنين بإثارة كبيرة وقلق وعدوانية وتعب عندما يكونون على اتصال وثيق بدخان السجائر والأفراد الجالسون على مقعد عام أكثر ميلا إلى تركه بسرعة عندما يتم انتهاك حيزهم

---

(1) Rotton , J ., & Frey , J. ,. Psychological costs of air pollution : Atmospheric conditions ,seasonal trends , and psychiatric emergencies . Population and Environment, (New York: Holt Rinehart and Winston,Inc.,1985) , P 7.

(2)Gorner, P., Antarctic team found adventure , ozone peril,(Chicago Tribune: The University of Chicago Press,1990), P.3.

الشخصي بواسطة شخص مدخن ، "ويقر غير المدخنين بأن مشاعرهم أكثر سلبية عندما يجبرون على التعامل مع المدخنين حتى ولو حاول المدخنون إظهار الكياسة والأدب وغالبا ما ينتج عن هذه التفاعلات اكتئاب وعداوة "(١).

ولكن مع تزايد أخطار تلوث الهواء والأزمات الكونية لا تجد الإنسان يشعر بالمسؤولية تجاهها ويكون الإنسان أكثر ميلا للتكيف مع تلوث الهواء مع مرور الزمن دون علاج أو بحث عن أسباب المشكلة كما يميل الناس إلى الاعتقاد بأن أماكنهم أقل تلوثا من غيرها ويقبلون ظروفهم على أنها طبيعية .

علاج مشكلة تلوث الهواء من منظور السنة النبوية :

إن خير وسيلة لحماية الهواء من التلوث هي ضبط مصادر الملوثات الهوائية والوصول بها إلى الحد الآمن وذلك باستعمال أجهزة تنقية وتجميع الغازات والجسيمات التي تخرج من المداخن ومحاولة الاستفادة منها ومحاولة علاجها وإعادة استخدامها .

ولكن هذه الوسائل غير كافية لحل أزمة تلوث الهواء فهناك الكثير من الملوثات التي لا يمكن التحكم فيها إلا عن طريق ضمائر الناس وسلوكياتهم الشخصية ولسوء الحظ أن الناس يشعرون غالبا بأنه ليس هناك شيء يمكن عمله ويتقبلون حتما هذا التلوث وتزيد الأمور سوءا عندما" يقاوم الناس مرارا المحاولات التشريعية لتغيير السلوكيات التي تساهم في تلوث الهواء والماء ويتفاعلون بشدة ضد أى عادة شخصية تملى عليهم بواسطة قوى خارجية" (٢).

---

(1)Baron, R. A., & Byrne, D., Social Psychology : Understanding human interaction.(Boston : Allyn and Bacon. ,1987), P .56.

(2)Mazis , M. B., Antipollution measures and psychological reactance theory : Afield experiment ,(New York : Personality and Social psychology, Co., 1985) , P.660.

ولكن في الإسلام يُرى أن الفقهاء على اختلاف طريقتهم اهتموا بموضوع تلوث الهواء بالروائح الكريهة وذلك من خلال التوجيه النبوي الشريف الذي ورد في الحديث الذي رواه جابر – رضى الله عنه – عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – : " **من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا** " (١) ، فإذا كان على آكل الثوم أو البصل أن يبتعد عن المسجد كي لا يضايق إخوانه من المسلمين برائحة فمه فإنه يكون من الأولى عدم السماح للروائح الكريهة من الانتشار في أجواء المدن وإيذاء سكانها وقد سئل الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) عن سبب كره للثوم : "**أحرام هو قال لا ولكن كرهته من أجل الريح**"(٢) ويمكن قياس هذا الحديث على التدخين السلبي ومضاره للإنسان فما ينطبق على الثوم وكراهية رائحته ينطبق بالتالي على التدخين وآثاره المدمرة مع اختلاف الشكل فالثوم لا مضار منه أما التدخين فآثاره السلبية تفوق الرائحة بل تؤدى إلى مضار عديدة تؤدى إلى الوفاة في معظمها وهو نوع من التهلكة.

وقد أوضحت الدراسات المعملية أن " **الرائحة الكريهة تؤدى إلى مشاعر سلبية عن البيئة المحيطة والأشخاص الآخرين الذين تتم مقابلتهم فيها ومن جهة أخرى فإن الروائح العطرة تؤدى إلى تحسن أداء الكتابية في الدراسة المعملية وتساعد الأشخاص على وضع أهداف مرتفعة من الأداء لأنفسهم** "(٣).

فلقد سئل الفقهاء "عن حكم شخص أقام مدبغة في بيته ، تنبعث منه الروائح الكريهة ، فتؤذى جيرانه وتسبب لهم الضرر، فأجمع كل من الفقهاء الثلاثة على حق جيرانه

---

(١)الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٣ ، ص١٢٣.

(٢) أبو بكر الهيثمي، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، مرجع سابق، ، ج ١، ص ٣٣١.

(3)Rotton , J ., & Frey,J . , Barry , T .Milligan , M., & Fitzpatrick, M., The air pollution experience and physical aggression,(New York: Personality and Social psychology, Co.,,1980), P9 .

في إيقافه وحكموا بإغلاق مدبغته ويتساوى في هذا الحكم حفر مرحاض أو مصرف غير مغطى وكل ما ينبث منه رائحة كريهة فلقد أفاد بعض الفقهاء بضرورة وقف هذه الأنشطة أو تغطيتها لمنع رائحتها التي تزكم الأنوف من مضايقة الجيران"(١) .

وكانت توكل إلى المحتسب مهمة مراقبة تلوث بيئة المدينة والأسواق من التلوث بالروائح وتؤكد كتب الحسبة على أن بيع الأسماك يجب أن يتم بعيدا عن سوق المدينة وعلى المحتسب أن يتابع تنفيذ ذلك كما كان عليه أن يمنع كل من تسول له نفسه أن يطرح النفايات والجيف في الأسواق والطرقات ويمنع الخضارين وغيرهم من طرح أزبالهم في الطرق حتى لا تنتج عنها روائح كريهة ، وحتى لا تكون مرتعا للحشرات ومصدرا من مصادر التلوث.

وحماية الهواء من التلوث أو الإفساد في الإسلام ، يعد فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، كما في المحافظة عليه نقيا بعيدا عن التلوث ، محافظة على مقاصد الشريعة الإسلامية من حفظ النفس والعقل والنسل والمال قال تعالى :-

(.....وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ.....)

[البقرة من الآية :١٩٥].

ومن صور ملوثات الهواء التقليدية والتي عالجتها السنة النبوية الحرائق التي تشتعل هنا وهناك عن قصد وعن غير قصد ، وما يترتب عليها من أضرار مادية وصحية على الإنسان حيث تنطلق من النار في أثناء اشتعالها غازات وأكاسيد سامة مثل : أكاسيد الكربون والكبريت والنيتروجين وغيرها .

---

(١) محمد عبد القادر الفقى ،مرجع سابق ،ص ص ٥٠ ، ٥١.

ولم تغفل السنة النبوية عن الأخطار الناجمة عن الحرائق ، فقد أمر الرسول الكريم الحريص على ما فيه صالح الإنسانية ، بإطفاء السراج بعد استخدامه وإخماد النار عند النوم .

فقد قال (ﷺ)" لا يبولن أحدكم في الجحر وإذا نمتم أطفئوا السراج فإن الفأرة تأخذ الفتيلة فتحرق على أهل البيت وأوكئوا الأسقية وخمروا الشراب وأغلقوا الأبواب"(١)

وعن "عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لا تبيتن النار في بيوتكم فإنها عدو" فما كان بن عمر يركض حتى لا يدع في البيت نارا إلا أطفأها وكان آخر أهل البيت رقادا كان يصلي فإذا فرغ لم ينم حتى يطفئ السراج"(٢) .

وقال(صلى الله عليه وسلم) أيضا " ثم غطوا الإناء وأوكوا السقاء وأغلقوا الباب وأطفئوا السراج فإن الشيطان لا يحل سقاء ولا يفتح بابا ولا يكشف إناء فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودا ويذكر اسم الله فليفعل فإن الفويسقة (الفأرة) تضرم (تتسلل وتدخل) على أهل البيت بيتهم"(٣) .

ويتضح من عرض الباحث للأحاديث السابقة حرص الرسول الكريم على عدم تعريض المنازل للنار والحريق لأنه يعرف مضار، وملوثاته على الفرد وعلى المجتمع فمما لا شك فيه أن الدخان الذي ينبعث نتيجة للحريق سواء من المصانع أو من الحرائق أو من قمائن الطوب ، يحدث أضرارًا بيئية وصحية على الإنسان .

---

(١) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق، ج١ ، ص٢٩٧.
(٢) المرجع السابق ، ج٤ ، ص٣١٧.
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج ٣، ص١٩٤.

ومن المشكلات تلوث الهواء والتي قامت السنة النبوية بوضع حل جذري لها وتجنب زيادة كمية التلوث في الهواء وما ينتج عنه من زيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون وقلة الأكسجين وهو دعوة إلى الاستزراع إذ تلعب النباتات دوراً مهماً في إحداث التوازن في تركيبة الهواء خاصة غازي الأكسجين وثاني أكسيد الكربون والتوازن في الدورة الهيدرولوجية الدورة المائية من خلال عملية النتح.

فقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يرغب أصحابه ويدعوهم إلى استزراع النباتات وحمايتها والمحافظة عليها ومن أحاديث الرسول في هذا المجال "ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما اختلفا الطير فهو له صدقة"(١).

وبذلك يوضح الرسول الكريم أن غرس الأشجار أو الثمار هو نوع من أنواع تستوجب الصدقة لصاحبها فهو يدعو إلى حماية البيئية والمحافظة عليها وإن كان اكتشاف عملية الأكسجين وثانى أكسيد الكربون في العصر الحديث إلا إن الرسول الكريم لا ينطق عن الهوى فهو يعلم تماما فائدة الزراعة والاستزراع سواء علم ما ينتج عن عملية النتح أم لا .

وقد قال (صلى الله عليه وسلم) : " إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها"(٢) فهذه دعوة أخرى يدل على حرصه على الزراعة حتى قيام الساعة لأن في غرسها إحياء للإنسان ودليل على سر وجوده وحياته وتنفسه الصحي.

ويستخلص مما سبق دعوة السنة النبوية لحماية البيئة من التلوث الهوائي مع أن البيئة الصحراوية التي يعيش فيها الرسول لم تتضح فيها مشكلة تلوث الهواء إلا أنه يريد

---

(١) المرجع السابق ،ج٣ ، ص١٨٨.

(٢) الإمام أبو بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، ج٤ ، ص٦٣.

أن يعلم الأجيال القادمة بعد أن يزداد العدد وتكتظ البيئة بالسكان أن يحافظوا علي نقاء الهواء وزيادة الأكسجين عن طريق الزراعة ، لأنه يسهل على المسلم الذي منع من تلويث هواء الصحراء أن يعتني بنظافة هواء البيئة المحدودة في مساحتها .

مشكلة التلوث المائي :

الماء هو السائل الذي ينهمر من عند الله فتفيض به الأنهار والبحار والبحيرات والمحيطات والعيون ونظرا لأهميته في الحياة لكل شيء حي ، حيث يقول الله تعالى ﴿..وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ .... ﴾[الأنبياء من الآية :٣٠]

ففي قوله تعالى:-

﴿..وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ .... ﴾[الأنبياء من الآية :٣٠]

ثلاثة تأويلات أحدهما أنه خلق كل شيء من الماء والثاني حفظ حياة كل شيء بالماء الثالث وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي وجعلنا بمعنى خلقنا "[(١)] وقد روى عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي قرت عيني فأنبئني عن كل شيء قال كل شيء خلق من ماء قال قلت أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة قال افش السلام واطعم الطعام وصل الأرحام وقم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام"[(٢)] .

وملعرفة أهمية الماء يستعرض الباحث النتائج التالية :

يستطيع الشخص أن يعيش "حوالي شهر بدون طعام ولكن أسبوعا فقط بدون ماء وحوالي ٧٠٪ من جلد الإنسان يتكون من ماء كما يموت حوالي٣٤٠٠٠ إنسان كل يوم

(١) الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق، ج ١١ ، ص٢٨٤.
(٢)الإمام النيسابورى ، المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص١٧٦.

من أمراض لها صلة بالماء مثل الإسهال والديدان الطفيلية وهذا يعادل ضحايا مائة طائرة نفاثة تتحطم كل يوم ، كما أن النساء والأطفال في معظم المناطق النامية يقطعون مسافات من ١٠ إلى ١٥ كيلومترا كل يوم للحصول على الماء ، وأيضا يحتاج الشخص إلى خمسة لترات من الماء في اليوم للشرب والطهي و ٣٥ لترا أخرى لنظافته ،والأسرة الكندية المتوسطة تستعمل ٣٥٠ لترا من الماء في اليوم والمتوسط في أفريقيا ٢٠ لترا وفي أوربا ١٦٥ لترا ، كما أن بقرة المزرعة تشرب حوالي أربعة لترات من الماء في اليوم لتنتج لترا واحدا من اللبن وحبة الطماطم الواحدة بها حوالي ٩٥ ٪ ماء ، كما تستعمل حوالي ٩٤٠٠ لتر من الماء لعمل أربعة إطارات للسيارة ،و يتطلب حوالي ١٠٤ مليار لتر من الماء لإنتاج ما يلزم من ورق لصحف العالم يوميا" (١).

وبناء على ذلك فالماء أساس الحياة ؛كما لا يستطاع التصور بأن هناك حياة بدون ماء وإن أمكن وجود حياة بدون هواء فلا يوجد كائن واحد دق أو كبر يستطيع الحياة بدون الماء في الوقت الذي يمكن مشاهدة " بعض الأحياء تعيش بدون هواء ويطلق عليها كائنات لاهوائية كبعض أنواع البكتريا ولذلك نجد أن نسبة الماء في أجسام الأحياء النشطة (أي غير الساكنة) تتجاوز ٩٠٪ فهو نهر الحياة الدافق في العروق يحمل الغذاء والهواء مخلصا إياه من نفاياته الضارة نتحا في النبات بولا وعرقا وبخارا في هواء الزفير للإنسان والحيوان" (٢).

وجملة القول أن قصة الماء مع الإنسان قصة طويلة تبدأ منذ كان نطفة في الماء ثم جنينا محفوظا في قرار مكين من كل أذى تصله أسباب الحياة كلها من أمه في الحبل

---

(١) حوريه تازى صادق ، مورد ثمين ونادر "، رسالة اليونسكو، (فرنسا : منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو" فبراير ١٩٩٩م) ، ص٢٠..

(٢) عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى ، مرجع سابق، ص١١٦.

السري محمولة مع الماء ثم وليدا يأخذ أول غذاء له من ثدي أمه لبنا سائغا قوامه الماء بل إن الماء مع الإنسان حتى في آلامه وأحزانه يسكبه دموعا تغسل أشجانه فلا عجب أن يستطيع الإنسان الصبر على الجوع أياما كثيرة لا يتحمل الظمأ إلا يوما واحدا أو أربعة أيام على أكثر تقدير .

تلوث الماء:

إن تلوث الماء يقصد به كل تغيير في الصفات الطبيعية للماء يسبب الضرر للإنسان " وتتراوح كميات المياه السنوية المستعملة في النشاط الإنساني نحو ٦٠٠ كيلو متر مكعب ام ١٩٩٥) وتزيد سنويا بمدل ٦٪ وأن عدم حماية مياه الشرب من التلوث هو المسئول الأول عن تفشى أمراض الإسهال والكوليرا وكثير من طفيليات القناة الهضمية في هذه الدول بالإضافة إلى الأمراض الأخرى"(١) ومن ملوثات المياه ما يلي :

المواد الكيميائية ، مثل الأملاح المعدنية (وأهمها أملاح الرصاص والنترات والكبرتيات والكلوريدات) ،وجراثيم الأمراض (مثل التيفود والكوليرا والباراتيفود والدوسنتاريا) ، والطفليليات (مثل البلهارسيا) ،ومواسير مياه الشرب تعد مصدرا مستمرا للتلوث بالحديد والرصاص وكذلك بمكونات الاسبستوس التي تصنع منها تلك المواسير ،وغاز الكلور في المياه ؛ حيث يستخدم غاز الكلور عادة للقضاء على التلوث الميكروبى في المياه وهو غاز سام يتفاعل مع المركبات العضوية الموجودة في مياه الشرب وقد تتكون مواد ضارة بالصحة العامة ولذلك لجأت دول كثيرة في العالم إلى استخدام الأوزون في تعقيم مياه الشرب بدلا من استخدام الفلور والكلور(٢) .

---

(١) محمد سيد أرناؤوط ، التلوث البيئي وأثره على صحة الإنسان ، (القاهرة : الدار العربية للكتاب، ١٩٩٧م) ص٢٣.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣

كذلك هناك تلوث من نوع آخر وهو النباتات والحشائش الضارة في الماء والتي قد تسبب ضررا بالبيئة والحيوانات المائية " وتمتد جذور الصراع المسجل بين الإنسان والحشائش الضارة إلى ما يقرب من ستة آلاف عام قبل الميلاد ففي الصين يظهر ذلك في كتاب برتوكول (الزى) المؤلف منذ ٢٢٠٠ مضت فيسجل وجود وظائف رسمية قديمة لإبادة الحشائش كما يظهر عرضا في الأغاني الشعبية والأشعار القديمة التي تحمل وصفا لأدوات النقاوة وطرق المكافحة والكد فيها في الحقول "(١).

كما أن هناك مدن بأكملها تلقى بنفاياتها وملوثاتها في الأنهار مباشرة وكذلك المصانع التي تلقى بالزيوت وبواقي النفط وغيرها من المواد السامة ويعتبر التخلص من مياه الصرف الصحي من أكبر المشاكل في المدن وخاصة بعدما اتسعت الرقعة السكانية واكتظت المدن بالسكان.

وتحتوى مياه الصرف الصحي على بكتريا كثيرة جدا تسبب أمراضا خطيرة منها "بكتريا السالمونيلا التي تسبب مرض التيفود والحمى المعوية .و بكتريا الشيجلا التي تسبب الإسهال و بكتريا الإشرشيا كولاى (التي تسبب القيء والإسهال وتؤدى إلى الجفاف خاصة الأطفال وبكتريا اللبتوسبيرا التي تسبب التهابات الكلى والكبد والجهاز العصبي المركزي وبكتريا الكوليرا التي تسبب مرض الكوليرا وبذلك يتم انتقال الكثير من الأمراض الخطرة بواسطة مياه المجارى إلى المسطحات المائية وتصبح مصدرا للعدوى" (٢).

---

(1) Yang ,H.L, The development and future trend of weed science in mainland China .(Hong Kong : Weed Technology, 1987) , P.259

(٢) محمد كمال عبد العزيز ، الصحة والبيئة – التلوث البيئي وخطره الداهم على صحتنا ، مرجع سابق ، ص٥٠.

علاج مشكلة تلوث المياه من منظور السنة النبوية :

تقتضي أهمية وضرورة الماء أن يتعامل الإنسان مع الماء تعاملا حسنا ، فيجب توظيفه فيما خلق له ، وعدم تلويثه أو استنزافه لتظل الحياة والأحياء . والاستفادة منه بحكمة وتعقل ، والحرص على طهارته ونقائه ، حتى لا يكون بيئة صالحة للأمراض وتعايش الميكروبات والفيروسات ومن ثم يصبح مصدرا للهلاك والإهلاك.

لذا تجد السنة النبوية حريصة في التعامل مع الماء ، " فعن أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال إن بئر بضاعة يطرح فيها الكلاب والحيض ، فقال النبي إن الماء لا ينجسه شيء."(١) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه وبه"(٢) وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات أولاهن أو إحداهن بالتراب" (٣).

ويرى الباحث من خلال الأحاديث السابقة مدى حرص الفقهاء على عدم تلويث الماء وتحريهم الصدق والدليل اليقينى على نظافة الماء ، فقد قال الإمام الشافعي: "فبهذه الأحاديث كلها نأخذ وليس منها واحد يخالف عندنا واحدا أما حديث بئر بضاعة فإن بئر بضاعة كثيرة الماء واسعة كان يطرح فيها من الأنجاس ما لا يغير لها لونا ولا طعما ولا يظهر له فيها ريح فقيل للنبي (صلى الله عليه وسلم) نتوضأ من بئر بضاعة يطرح فيها كذا فقال النبي والله أعلم مجيبا الماء لا ينجسه شيء وكان جوابه محتملا كل ماء وإن قل وبينا أنه في الماء مثلها إذا كان مجيبا عليها فلما روى أبو هريرة عن النبي أن يغسل الإناء من ولوغ

---

(١) النسائي(أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ،ت٣٠٣هـ) ، سنن النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، ج١(حلب : مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٩٨٦م) ،ص١٧٤.

(٢)الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج١ ، ص٢٣٥.

(٣) الإمام مسلم ،صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج١ ، ص ٢٣٤

الكلب سبعا دل على أن جواب رسول الله في بئر بضاعة عليها وكان العلم أنه على مثلها وأكثر منها ولا يدل حديث بئر بضاعة وحده على أن ما دونها من الماء لا ينجس وكانت آنية الناس صغارا إنما هي صحون وصحاف ومخاضب الحجارة وما أشبه ذلك مما يحلب فيه ويشرب ." (١).

كما ورد حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحدد فيه مقدار ما ينجس الماء "إذا كان الماء قلتين فلا ينجسه شيء"(٢) والقلة هي الجرة الكبيرة عند العرب يمكن حملها وهي كانت تصنع بالحجاز فما قل عن هذه الكمية وأصابه نجاسة فيترك لأنه أصبح ملوثا .

وفي العصر الحديث ظهرت دعوات عديدة لمنع إلقاء الحيوانات النافقة في الماء لأنها مصدر تلوث وسبب لكثير من الأمراض وفي الظاهر نجد تعارضا بين الحديث الشريف وبين هذه الدعوات ولكن بالفحص الدقيق نجد اتفاقا وليس اختلافا فمن طبيعة الماء أن يتحمل قدر معين من الميكروبات ولكن إذا تعدى القدر المعلوم كما حدده الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) فإنه يصبح ملوثا وليس بغريب أن يتحمل الماء النجاسات فلو جلبت نقطة ماء إلى معمل اختبارات ووضعت هذه النقطة تحت المجهر فسوف يرى مئات الميكروبات وآلاف البكتريا وهي تسبح ولكنها غير مضرة بصحة الإنسان ولكن الرسول لايعني بأن يترك الأمر فوضى في إلقاء الحيوانات النافقة وإنما حدده في الحديث السابق بقلتين .

---

(١) محمد بن إدريس الشافعى ، اختلاف الحديث ، (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٥م) ، ص ص (١٤ – ١٨).

(٢) النيسابورى ،المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق ، ج١، ص٢٢٤.

كما يوضح أحد الفقهاء طريقة التيقن من طهارة الماء ويوضح الشروط الواجبة لطهارة الماء - لا يرفع الحدث والخبث إلا الماء المطلق ، وهو ما كان على خلقته أو تغير بما لا ينفك غالبا كقرار، والمتولد منه ويكره الوضوء بالمستعمل ويسير حلته نجاسة لم تغير وسؤر ما لا يتوقى النجاسة لا ما أفضلته البهائم أو تطهرت منه امرأة خلت به وما تغير بمخالطة أجنبي كالخل والبول سلبه الطهورية وأكسبه حكمه ويكره من آنية عظام الميتة وجلدها ويحرم من النقدين ويجزئ ، ويجب التحري في اشتباه الطاهر بالنجس فيتوضأ بما يغلب على ظنه طهارته وقيل يتوضأ من أحدهما ويصلي ويغسل أعضاءه من الثاني ثم يتوضأ به ويصلي فإن كثر على عدد النجاسة واحدة وإذا مات برى ذو نفس سائلة في بئر فإن تغير وجب نزحه حتى يزول التغير ، فإن زال بنفسه فالظاهر عود إلى أصله ، وإن لم يتغير استحب النزح بحسب الماء والميتة.(١)

الحدث هو أثر يقع على الجسم يمنع صحة صلاة قبل زواله وسببه الجنابة أو الحيض والنفاس أو خروج شيء من السبيلين أو غير ذلك ، والخبث هو النجاسة ، ومعنى رفعها تطهيرها بإزالة طعمها وريحها بالماء أو في الاستنجاء،و قرار الماء الأرض أو قاع الحوض ونحوه مما يحوي الماء ، والمتولد منه كبعض النباتات الخضراء التي تتولد بنفسها من وجود الماء كالطحالب والأعشاب الصغيرة والسمك والدود ونحوها ، كما يكره أن يتوضأ الشخص بالماء المستعمل بشروط ثلاثة :-

١ - أن يكون الماء يسيراً لا كثيراً فلو كان كثيراً واستعمل قبل ذلك في رفع حدث فلا يضر ويجوز الوضوء به .

٢ - أن يكون استعمل في رفع حدث سابق على الاستعمال الثاني .

---

(١) عبد الرحمن بن محمد البغدادي المالكي ،إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك ، (القاهرة :الشركة الأفريقية للطباعة والنشر ، د . ت) ص٤.

٣ - أن يكون استعماله ثانياً في رفع حدث أيضاً فلو استعمل الماء المستعمل أولاً في رفع حدث لإزالة حكم نجس جاز ذلك ولم يضره الاستعمال الأول . كما يكره الوضوء بالماء القليل الذي فيه نجاسة لم تغيره فإذا غيرته لم يصح به الوضوء ، أيضا يكره الوضوء بالماء الموضوع في آنية من عظام الميتة أو من جلدها .، كما يحرم الوضوء من آنية الذهب والفضة ،والمقصود إِذا مَاتَ بَرِّيٌّ ذُو نَفْسٍ سَائِلَةٍ فِي بِئْرٍ أي له دم يسيل ، فإذا لم يكن الميت له دم يسيل كالجراد والذباب فلا يضر موته الماء إذا كثر كثرة تغير الماء ، وقوله بري خرج البحري كالسمك ونحوه مما لا يعيش إلا في الماء فلا تضر ميتته (١) .

يتضح مما سبق حرص الفقهاء على الاسترشاد بالسنة النبوية في معرفتهم بنظافة الماء والبرهان على طهارة الماء من عدمه وأن البيئة المحيطة بالإنسان يجب أن تتغير كما يجب أن يتغير اعتقاد الإنسان بأن مياه الأنهار والبحار والمحيطات هي سلة المهملات الطبيعية التي يمكن أن تلقى فيها بكل أنواع المخلفات وعلى الرغم من أن المياه تغطى أكثر من ٧٠٪ من مساحة الكرة الأرضية إلا أن طاقة الأنهار والبحار والمحيطات قد أصبحت محدودة اليوم وبدأت آثار التلوث تظهر بها بكل وضوح .

كما أن الماء ليس ملكا لأحد حتى يصنع فيه ما يشاء بل هو منة وعطية من الله تعالى للناس جميعا ، ولقد قرر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ذلك صراحة في حديث صحيح إن الناس شركاء في ثلاث وعد منها الماء فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "الناس شركاء في ثلاث : الماء والكلأ والنار"(٢) ، وموجب المشاركة ألا يتعدى إنسان على حق الآخرين في استعمال الماء سواء في كمه أو كيفه ومن

---

(١) المرجع السابق ، ص٦

(٢) الحارث(الحارث بن أبى أسامة الحافظ نور الدين الهيثمي ت ٢٨٢هـ)، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق :حسن أحمد صالح الباكري ج٢ ، (المدينة المنورة : مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ١٩٩٢م) ، ص٦٥٣.

ثم كان تغيير صفات الماء ، يحرم الإنسان من حقه في الاستعمال وذلك لفساد موضوع المشاركة ولذا نهي الرسول (صلى الله عليه وسلم) من التبول في الماء فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لا يبولن أحكم في الماء الدائم الذي لا يجرى ثم يغتسل فيه "(١) وذلك بهدف المحافظة على نقاء الماء ليبقى نظيفا كما أنزله الله زلالا طيبا ، تستلذه الحواس وتستمتع به النفوس ، خاليا من كل ما يؤذى أو يضر بالإنسان أو الحيوان أو النبات ، وبلغ من حرص السنة النبوية بالنظافة وحرصه على عدم تلوث الماء ولو بطريق غير مباشر ، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال "إذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا فإنه لا يدري أين باتت يده " (٢) ولأهمية النظافة للماء ولغيره جعلها الإسلام بمصدريه شعارا من شعاراته العبادية وفضيلة من فضائل الإسلام يتحلى بها المسلم ، ويحرص عليها ، وسواء في ذلك الطهارة الحسية أو المعنوية ، كل ذلك ليبعد بنا عن التلوث أيا كان –فضلا عن أن تكون سببا في حدوثه .فق ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " الطهور شطر الإيمان ولا إله إلا الله تملأ الميزان...."(٣) . وقال أيضا " لا تقبل صلاة بلا طهور"(٤) .

ومن الأهمية أن يعرف الإنسان أن الماء – شأنه شأن جميع الموجودات – قد خلقه الله سبحانه بقدر ، وأن أي إسراف فيه أو تبذير أو تلوث يخل بهذا القدر الصالح للاستعمال ويعرض الحياة لخطر داهم ، حيث لا غناء لمخلوق عنه ، وأن الإسراف وعدم التوزيع يؤدي لا محالة لحروب تعرف في العصر الحديث بحروب المياه ، ولو طبقت السنة النبوية وطبق مبدأ الشراكة وأهمية الاعتدال لعاش الإنسان ولكفي الماء الجميع .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق، ج١، ص ٦٩.
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٢٣٣.
(٣) الأصبهانى ،مرجع سابق، ج١، ص٢٨٩.
(٤) المرجع السابق ، ج١، ص٢٩٠

مشكلة التلوث الضوضائي :

الضوضاء هي أصوات غير متجانسة وتتجاوز شدتها المعدل الطبيعي المسموح به للأذن فهي أصوات غير مرغوب فيها نظرا لزيادة حدتها وشدتها وخروجها على المألوف من الأصوات الطبيعية التي اعتاد الإنسان سماعها .وهي خليط من عدة أصوات مختلفة غير متوافقة وغير منتظمة ينفر منها السامع ولا يستريح لها وتبدد سعادته وتقلق راحته ولها تأثير على أعصاب الإنسان وتفكيره وعلى كفاءته في العمل والإنتاج وإذا تعرض الإنسان لضوضاء عالية لفترة طويلة فقد يصاب بضعف السمع (١).

ومن مصادر التلوث السمعي أصوات محركات السيارات وآلات التنبيه وأصوات المذياع والتلفزيون وغيرها من مسببات التلوث الضوضائي فبدلا أن يكون الصوت وسيلة للتآنس والتمتع بجمال الحياة أصبح من دواعي متاعب الحياة وبدلا من أن يكون وسيلة لنقل الأفكار إلى وسيلة للإزعاج والمرض والضيق .

ومن الآثار الناتجة للتلوث الضوضائي هي (٢):

١. الأذن : تسبب المفرقعات موجات شديدة من التضاغط والتخلخل تؤدى إلى انفجار طبلة الأذن وكذلك حدوث نزيف في الأذن الوسطى.

٢. الجهاز العصبي :

تندفع موجات الصوتية في شكل موجات كهربائية تصل إلى لحاء المخ ومنها إلى التكوين الشبكى وينتج عن ذلك حدوث تهيج في الجهاز العصبي اللاإرادى خاصة الجهاز

---

(١) سيد أحمد السيد خلاف، " الضوضاء "، مجلة أسيوط للدراسات البيئية ، (ع٣؛ أسيوط : جامعة أسيوط ، ١٩٩٢) ،ص٩١.

(٢) محمد كمال عبد العزيز ، مرجع سابق، ص ص (٧٧ :٨٧).

السمبتاوى الذي يؤدى إلى زيادة سرعة دقات القلب وارتفاع في ضغط الدم الشريانى وتقلصات في عضلات المعدة وزيادة في إفرازتها .

٣. الدورة الدموية :

تسبب الأصوات العالية المفاجئة انقباضا وتقلصا في الأوعية الدموية ومع استمرار هذا التقلص يحدث ارتفاع في ضغط الدم والذي يحدث أيضا يسبب إثارة مراكز معينة في المخ والتي تتهيج بسبب الضوضاء .

٤. الهلاك بالصيحة :

قوة الصوت التي تزيد عن ١٥٠ ديسبيل مثل أصوات القنابل الضخمة والمفرقعات الهائلة الناتجة من القنابل الذرية تؤدى إلى هلاك الإنسان والحيوان في الحال وذلك نتيجة انفجار الرئتين وتوقف القلب المفاجئ قال تعالى :

(وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ)

[هود : ٦٧]

وقال أيضا :

(أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ ....)

[البقرة : ١٩]

ومن خلال النتائج السابقة يتضح مدى خطورة التلوث الضوضائي مع تزايده في هذا العصر بسبب التكنولوجيا المتقدمة واستخدام وسائل المواصلات بكثرة والمكيفات وأجهزة المذياع والتلفاز وغيرها كل ذلك أدى بإنسان العصر الحديث أن يعيش في تلوث

ضوضائي قادر على إصابته بجميع أمراض الأذن وخاصة الضعف السمعي الذي انتشر بصورة كبيرة في العصر الحديث وخاصة مع تزايد السن حيث تعتاد الأذن على هذه الضوضاء فيصيبها نوع من الأذى بدرجة قد لا تسمع بعدها إلا الأصوات المزعجة ، ومع أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) لم يحضر هذه الثورة التكنولوجية الحديثة إلا أنه نبه لعلاج مشكلة الضوضاء وذلك حرصا على سمع المسلم ونقائه .

علاج مشكلة التلوث الضوضائي من منظور السنة النبوية :

الضوضاء هذا نوع من أنواع الإفساد البيئي وهو الإفساد السمعي الذي انتشر في زمننا المعاصر وأثر في كثير من صور على أسماع الناس وأعصابهم ومن حق كل إنسان أن يمارس نشاطه في مجتمع هادئ بعيدا عن الضوضاء والصخب لأن الضوضاء لها تأثيرها السيئ والسلبي على صحة الإنسان وعلى هدوئه النفسي والعصبي وعلى إنتاجه الفكري ومن هذا فقد نهي الإسلام عن رفع الأصوات أو إحداث جلبة شديدة أو ضوضاء عالية حماية للبيئة من التلوث السمعي ، فقد نهي القرآن الكريم عن إحداث الضوضاء والأصوات المرتفعة في الطريق وحتى داخل المسجد ولو كانت الضجة لتلاوة القرآن .

فالقرآن الكريم يدعو إلى خفض الصوت فلقد أمر المسلمين بألا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي ومع ما في هذا الأمر من دعوة لاحترام الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلا أنه يحث أيضا على خفض الصوت وبخاصة إذا علمنا أنه لم يؤثر عن – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يتكلم بصوت عال في المجالس فقد صور القرآن الكريم من يتحدث بصوت مرتفع صورة بغيضة حيث شبهه بالحمار صاحب أنكر الأصوات وأقبحها

قال تعالى :-

(وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾) [لقمان :١٩] .

وفي السنة النبوية فقد رفض الرسول (صلى الله عليه وسلم)استخدام الأبواق في الأذن أو استخدام الطبول كما كانت عادة العرب في الحروب قبل الإسلام فلقد اختار بلالا – رضى الله عنه – للأذان، لأن له صوتا رخيما أى جميلا عذبا .

"وقد نهي الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن الضوضاء ، "فعن أبى قتادة قال : بينما نحن نصلى مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذ سمع جلبة خارج المسجد فقال : " ما شأنكم ؟ " قالوا استعجلنا إلى الصلاة ، فقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – : لا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة ، فما أدركتم فصلوا وما سبقكم فأتموا "(١) .

ومن خلال الحديث السابق يتضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهي عن الجلبة ورفع الأصوات لما فيه من الإيذاء للآخرين حتى ولو كان مصدر الضوضاء قراءة القرآن أو أداء ركن من أركان الإسلام فقد روى "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال إن المصلي يناجي ربه فلينظر ماذا يناجيه به ولا يجهر بعضكم على بعض في القرآن "(٢) .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج١، ص٤٢١.

(٢) النسائي (أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، ت٣٠٣هـ) ، السنن الكبرى، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ج٥ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩١م) ، ص٣٢

وإذا كان الإسلام ينهي عن رفع الصوت لما فيه من الإيذاء فغيره من مكبرات الأصوات وأبواق السيارات وأجهزة الإذاعة والتلفزيون وغيرها أولى بالنهي لأن ضررها على جميع وظائف الجسم أشد وأخطر والضرر ممنوع ومنهي .

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : **قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : إن الله يبغض كل جعظرى جواظ ، سخاب في الأسواق "** (١) والجعظرى الجواظ هو "القصير السمين المتكبر المبتعد عن النصيحة كبرا وخيلاء "(٢) والسخاب هو "الرجل الكثير الجلبة والضجاج والخصام"(٣) ،وهذا يدل على حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على عدم حدوث الضوضاء حتى في الأسواق فالأسواق هي موضع اجتماع الناس في البيع والشراء وكثيرا ما تحدث الضوضاء الشديدة فكل بائع ينادي على بضاعته بأى وسيلة ولا يهمه مدى تأثير هذه المكبرات على المتسوقين بل همه بيع بضاعته ويتنافسون في تكبير الصوت فأعلاهم صوتا أكثرهم بيعا ولو اتخذنا تطبيق سنة رسول الله لكان البيع في سكون واحترام هو أجدى للبائع والمشتري وهناك مواقف نهي الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – فيها عن إحداث الصوت ولو بكلمة واحدة . يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم : " إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب : صه ، فقد لغوت " .وذلك لأن لو كل مصل تحدث – ولو بلفظة واحدة – مع جاره ، لأصبح الأمر فوضى ، ولم يعد أحد قادرا على الإنصات.(٤)

ونستفيد من هذا الحديث عمليا في قاعات الدراسة والمحاضرات وأيضا في المدارس وغيرها أنه لابد من الإنصات للمعلم أو القائم بالمحاضرة لأن في الإصغاء استفادة للجميع أمام الضوضاء التي يحدثها بعض الأفراد فهي لن تؤثر عليه فقط ولكن تأثيرها سوف يشمل

---

(١) ابن حبان ، مرجع سابق ،ج١، ص ٢٧٣.
(٢) ابن منظور ، لسان العرب ،ج٤ (القاهرة : دار المعارف ، د.ت)، ص١٤٢.
(٣) المرجع السابق ، ج١ ،ص ٤٦١.
(٤) محمد عبد القادر الفقى ، مرجع سابق، ص ٨٥.

الجميع فيقل استيعابهم ويضيع الفهم فلا نقتصر على الإنصات في المسجد فقط بل يشمل جميع مؤسسات التربية .

كما اهتم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالتشجير والإنبات لأنه منقى للأصوات بالإضافة للهواء " فعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها " (١).

ومن خلال الحديث السابق نستنتج أن التشجير مهم للإنسان والكائنات الحية لما لعملية النتح في التأثير على صحة الإنسان كما أن الأشجار تعتبر مصفاة للضوضاء بالإضافة إلى أنها تنقى الجو من أنواع ملوثات الهواء.

ولقد أصبح للضوضاء مساحة كبيرة في حياتنا بعد تكاثر الأجهزة التكنولوجية المساعدة في تضخيم الصوت لدرجات عالية واليسر في الحصول عليها ، ولقد أكدت البحوث والدراسات أن مثل هذه الضوضاء الزائدة والمتكررة تصيب الإنسان بضعف في أذنيه مما يصل إلى مرحلة الصمم في بعض الحالات وليس ذلك أمرا نظريا فقد روى عن الرسول الكريم "عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس فقال يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم عن الآيات فهؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ويشربون من لبنها مثل ما كانوا يتروون من مائهم فعتوا عن أمر ربهم فعقروها فوعدهم الله ثلاثة أيام وكان موعدا من مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان تحت مشارق السماوات ومغاربها منهم إلا رجل

---

(١) الإمام البخاري ، الأدب المفرد ، (بيروت : دار البشائر ، الإسلامية ، ١٩٨٩)، ص ٦٠.

كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله قالوا يا رسول الله من هو قال أبو رغال"(١). وغيرها من الأحاديث التي تدل وتعبر عن الفزع والهلع الذي يصيب الناس نتيجة الصوت المدوي وينتهي بهم إلى الهلاك.

كما أن للضوضاء تأثيرا على إنتاج العاملين وحسن الأداء في العمل "فيتأثر إنتاج العاملين في المصانع والورش ، نظرا لما يحدث لهم من صداع وعدم تركيز أو انفعال ولقد أكدت البحوث والدراسات صحة ذلك ومنها دراسة العالم البريطاني (هـ . س وستون) حيث أوضح أن كفاءة النساجين البريطانيين قد زادت بمعدل أكبر في الإنتاج عندما وضعوا سدادات الأذن في سمعهم "(٢).

كما أن دعاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) يشمل حماية السمع والبصر من الضرر ولن يتأذى السمع إلا من الضوضاء والأذى وقول الخبائث فقد قال (صلى الله عليه وسلم) " اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري" (٣) وكان دائما يقدم السمع على البصر لأنها أداة التعليم الأولى للإنسان ، فلولا السمع ما تعلم الإنسان ولا عرف أن ينطق بأية لغة ، مما يدل على أهمية السمع والمحافظة عليه .

كما كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يمكن رفع الصوت حتى ولو كان للتكبير فقد روى" عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا

---

(١) الإمام الحاكم (محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، ت ٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق، ج٢ ، ص٣٧١.

(٢) صلاح عبد السميع عبد الرازق ، مشكلة التلوث الصوتي (الضوضائي) ،٢٠٠٣/٨/١٠م.

Available [online] (www.jeeran.com) .

(٣) الإمام أبو داود ، مرجع سابق ، ج٤، ص ٣٢٤.

إنه معكم إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده"[١] أي اخفضوا أصواتكم فالله يسمع أصواتكم فهو قريب سميع ، وهذا الحديث دعوة لعدم الجلبة والضوضاء في غير فائدة فالأصوات المزعجة دائما منفرة وغير مريحة للإنسان وقد يصاب الإنسان بالاشمئزاز من سماع الأصوات المرتفعة حتى ولو كان عبادة فنجد مثلا أصوات المؤذنين تتعالى في أوقات الصلاة وكأنهم في تنافس لرفع الصوت ناهيك عن الأصوات الكريهة وغير المحببة للنفس فقد تكون وسيلة تنفير من الأذان بل تنفير من الصلاة وقد سبق أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) استخدم بلالا ليؤذن لأنه صوته رخيم أي جميل محبب للنفس لا بالمرتفع ولا المنخفض يدخل في النفس ويتسلل فيثير فيها الإحساس بالسكينة والوقار كما يشاهد في بعض المؤذنين في العصر الحديث .

وفي دعوة أخرى من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للمعلمين بأنه يجب أن يستنصتوا المتعلمين قبل شرحهم لأن الجلبة والضوضاء تفقد التركيز وتؤدى إلى البلادة الدراسية فقد روى عندما خطب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حجة الوداع أنه طلب استنصات الناس لأهمية الخطاب " استنصت الناس ثم قال لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض"[٢] وبذلك يتعلم الناس آداب الاستماع ومن أهم هذه الآداب عدم رفع الصوت إلا في فائدة.

كما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في معالي الأخلاق "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون..."[٣] والثرثار هو كثير الكلام والضوضاء بدون فائدة فهو يرفع من

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٣، ص١٩١.
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج١، ص٨١.
(٣) الإمام الترمذي ، مرجع سابق ، ج٤، ص٣٧٠.

صوته ويتشدق في الكلام بدون نفع أو فائدة وبالتالي يحدث الضوضاء ، هذا وقد أبغضه الرسول وأبعده عن مجلسه يوم القيامة نتيجة للثرثرة والضوضاء غير المجدية .

كما ينبهنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الضوضاء التي تصدرها السيارات والقطارات وغيرها من وسائل المواصلات بطريق غير مباشر فقد قال " **الجرس من مزامير الشيطان** "(١) وقال أيضا "**العير التي فيها الجرس لا تصحبها الملائكة**"(٢) وكانت العير هي وسيلة المواصلات في عهد النبي مع الفارق في العصر الحديث ولكنه منع أن تعلق الأجراس في عنق الناقة والبعير منعا للضوضاء كما عد هذه الأجراس من الشيطان تحقيرا لها ونبذ لها لأنها مصدر الجلبة والضوضاء وقياسا على هذا استخدام الأبواق في السيارات والمركبات في العصر الحديث وهي آلات تنبيه مثل الجرس بل أخطر وبذلك فقد منع الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) استخدام هذه الآلات ذات الأصوات المرتفعة قياسا على الجرس المعلق في العير.

*مما سبق يتضح لك مدى حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على ضرورة اتباع تعاليم الإسلام ومنها السكينة وخفض الصوت ، وتلك من سمات الأمم المتحضرة ،كما يتضح أيضا حرص الرسول الكريم على عدم التلوث الضوضائي الذي يصيب الإنسان بالأمراض المختلفة ويجعله عرضه للصمم ويدعوه إلى السكينة والوقار وغرس الأشجار التي تعد مصفاة للبيئة من التلوث الضوضائي .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص١٧٢.

(٢) الدارمي (عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ، ت ٢٥٥هـ)، سنن الدارمي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي ،ج٢،(بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٩٨٦م) ، ص ٣٧٣.

ويمكن اتباع ما يلى للتقليل من حدة التلوث الصوتي في ضوء السنة النبوية :

- التخطيط العمراني الجيد الذي يراعى وجود المناطق السكنية والمدارس بعيدا عن مصادر الضوضاء .
- عدم منح تراخيص إقامة المصانع داخل المناطق السكنية أو قريبا منها .
- استخدام المواد العازلة للصوت في بناء المنازل والمدارس والمستشفيات .
- وضع ضوابط لاستخدام مكبرات الصوت ذات الأصوات الحادة وبخاصة في أماكن الترفيه العامة والمقاهي .
- نشر الوعي عن طريق وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة بأخطار الضوضاء وتأثيرها السلبي على الصحة العامة للمجتمع ككل .
- زيادة الرقعة الخضراء حول المدارس والمساكن والمستشفيات للتقليل من تأثير الأصوات وامتصاصها.

مشكلة التلوث الغذائي :

نتج عن التطور التكنولوجي في إنتاج الغذاء لملاحقة الأعداد المتزايدة من السكان حدوث بعض الآثار السلبية لمكونات الطعام مما أدى تلوث المادة الغذائية بأنواع مختلفة من الملوثات ، فالمادة الغذائية هي "خليط من مجموعة من الكربوهيدرات والبروتين والدهن والفيتامينات والأملاح المعدنية يتناولها الإنسان في طعامه ، من أجل نموه وتكاثره وطاقة حركته ونشاطه وفي نفس الوقت لوقايته من الأمراض "(١).

ولكن " غذاءك الطبيعى ربما يحتوى على مركبات سامة طبيعية فإن موادَ عديدة طبيعية مثل السابونين والسولانين وكذا الأحماض الأمينية غير البروتينية وغيرها تسبب

---

(١) محمد السيد أرناؤوط ، التلوث البيئي وأثره على صحة الإنسان ، مرجع سابق، ص ١١٥.

قلقا على المستوى الغذائى وذلك لأنها تتواجد في نباتات ذات أهمية اقتصادية سواء أكانت تستعمل كغذاء للإنسان أم كعلائق للحيوان ومن ثم فقد حظيت مثل هذه المركبات باهتمام بالغ من قبل الباحثين "(١).

ونظرا للزيادة السكانية الرهيبة وفي ضوء الزيادة المطردة للطلب على الغذاء ازدادت الدعوة لاستخدام معدلات عالية من الأسمدة الكيماوية خاصة الأزوتية والفوسفاتية) وكذلك المبيدات وفي نفس الوقت تناقصت معدلات استخدام الأسمدة العضوية (٢) كل هذا أدى إلى تلوث الغذاء والإصابة بأمراض عديدة منها السرطان وأمراض الجهاز الدوري .

وفي الوقت الحاضر يهتم العالم بمشكلة تلوث الغذاء إذ كان لتطور الصناعة الأثر السيئ في زيادة المخلفات الكيميائية ، كما لعبت المبيدات المستخدمة في كثير من المحاصيل الزراعية دورا كبيرا في هذه المشكلة . "والملوثات تتكون من نوعين :ملوثات كيماوية : وتتمثل في المبيدات الحشرية والزرنيخ والكادميوم والرصاص والزئبق والمركبات العضوية والهالوجينية ومركبات الفينول والزيوت والشحوم والنترَت والنيتريت وهي مواد تسبب على مدى قصير أو بعيد التسمم الحاد أو المزمن للجهاز العصبى وأمراض الكلى وأمراض الدم عند الأطفال وقد تسبب سرطان الدم على مدى بعيد ،وملوثات بيولوجية : تتمثل في الكائنات البكترية والفيروسات والديدان والطحالب وتؤدى إلى أمراض مختلفة

---

(١) محمد كمال يوسف ، فوزى عبد القادر الفيشاوى ،" سموم الغذاء الطبيعية"، مجلة أسيوط للدراسات البيئية ، (ع؛ ٣أسيوط : جامعة أسيوط ،١٩٩٢م)، ص ٦٥

(٢) محمد السيد أرناؤوط ، التلوث البيئي وأثره على صحة الإنسان ، مرجع سابق، ص ١٢١.

مثل الإسهال والدوسنتاريا والتيفود والكوليرا والالتهاب الكبدى الوبائى والنزلات المعوية (١).وتتعدد أنواع التلوث الغذائى فيما يلي (٢):

أولا : التلوث البكتيري :

يعد هذا النوع من التلوث من أقدم أنواع التلوث التي عرفها الإنسان وأكثرها انتشارا والطعام الملوث بالبكتريا الضارة يسبب حدوث العدوى بالأمراض المختلفة مثل التيفود والباراتيفود والحمى الراجعة والدوسنتاريا وقد تقوم البكتريا كذلك بإفراز سموم بالطعام ينتج عنها أعراضا مرضية مثل الإسهال والقيء وآلام البطن .وهذه الأعراض قد تكون خطيرة تؤدى إلى الوفاة مثل التسمم البوتيولنى الذي تسببه المعلبات والأسماك الفاسدة .

وتكاثر البكتريا وبالتالى زيادة معدل إنتاجها للسموم بالغذاء قد يكون قبل أو بعد تناول الغذاء وعادة يكون تأثير الطعام الملوث أسرع وأشد إذا ما كان الطعام ملوثا قبل إعداده للاستهلاك .

والأغذية الأكثر عرضة للتلوث بالبكتريا الضارة هي : اللحوم ومنتجاتها والدواجن والأسماك والألبان ومنتجاتها وكذلك الأغذية المصنعة والمطهية والمعلبات الفاسدة والوجبات السريعة التي تباع بالشارع مثل : الكشرى والباذنجان المقلي والطعمية ...إلخ .

---

(١) حسين يوسف ، " مصادر التلوث البيئي للمياه وأثره على الغذاء وصحة الإنسان "،سلسلة ندوات " نحو تفاعل أفضل بين الجامعة والبيئة ، الندوة الرابعة، تلوث الغذاء : المحاضرات والأبحاث ، (أسيوط : جامعة أسيوط ، ١٩٩٣)، ص ١٠.

(٢) فضلا انظر في :

-جهاز شئون البيئة ،الأسرة والغذاء والتلوث ، (القاهرة : مطابع الأهرام ، د.ت) ص ص (٧ : ١٠)

-سيد أحمد السيد خلاف، الإشعاعات المختلفة وتأثيراتها الضارة ، مجلة أسيوط للدراسات البيئية ، (ع٢، أسيوط : جامعة أسيوط ، يناير ١٩٩٢م) ، ص٩.

ومن أهم مسببات التلوث البكتيرى عدم الاهتمام بالنظافة الشخصية ونظافة الأدوات المستخدمة وأماكن تحضير الأطعمة وكذلك سوء تداول الغذاء وتخزينه على درجات حرارة غير مناسبة أو لفترات طويلة تسمح بنشاط البكتريا المسببة للتلوث . ومن مسببات التسمم بهذا النوع أيضا عدم الطهي الجيد للغذاء وتناول الأغذية من المصادر غير الموثوق بها وخاصة الباعة الجائلين .

ثانيا : التلوث بسموم الفطريات (العفن) :

تنمو بعض أنوع الفطريات على الأغذية وتفرز سموما شديدة الخطورة على الإنسان حيث تسبب سرطان الكبد وخللا بوظائف القلب والأنسجة المختلفة وكذلك حدوث تغيرات وراثية وتشوه بالأجنة .

والأغذية الأكثر عرضة للتلوث بالفطريات (**العفن**) هي الحبوب مثل : القمح والذرة والبقوليات مثل : الفول السوداني والعدس والفاصوليا واللوبيا والبسلة الجافة وكذا الخبز والدقيق إلى جانب الأنواع المختلفة من المكسرات مثل : البندق واللوز ، والفواكه المجففة مثل : التين والمشمش والزبيب والقراصيا والبلح .

وأهم مسببات التلوث بهذا النوع من الفطريات هو التخزين السيئ في أماكن حرارتها مرتفعة ورطوبتها عالية وكذلك طول مدة التخزين وعدم استخدام العبوات المناسبة .

ثالثا : التلوث بالمبيدات :

تستخدم المبيدات لحماية الإنتاج الزراعي من مختلف الآفات بهدف زيادة الإنتاج .

وتتواجد متبقيات المبيدات في معظم أنواع الخضر والفاكهة ودهون اللحوم والطيور والأسماك والألبان والأحشاء الداخلية وبعض الغدد الغنية بالدهن والمخ والكلاوي والكبد .

وترجع خطورة المبيدات إلى أنها تؤثر على الجهاز العصبي بصفة خاصة وتحدث خللا في وظائف أعضاء الجسم المختلفة مثل الكبد والكلى والقلب وأعضاء التناسل ، بل يصل التأثير إلى أهم مكونات الخلية حيث تحدث تأثيرات وراثية أو سرطانية أو تشوه خلقى في المواليد ويتعدى الأمر إلى خلل في سلوك الأفراد وخاصة الأطفال وخطورة هذه المبيدات ليست فقط في إحداث التسمم الحاد الذي قد يؤدى إلى الوفاة وإنما في حدوث سمية مزمنة من خلال التعرض أو تناول الأشخاص لجرعات ضئيلة ولفترات طويلة من حياتهم .

ومن أهم مسببات التلوث بالمبيدات ، الإسراف أو الاستخدام السيئ لها خلال إنتاج وتجهيز وتداول الغذاء ويزيد من خطورة المبيدات الكيماوية عدم الإلمام بكيفية التخلص أو التقليل من متبقياتها بالأغذية المختلفة .

رابعا : التلوث بالمعادن الثقيلة :

أصبح التسمم بالمعادن الثقيلة مثل : الرصاص والزئبق والكادميوم والزنك والنحاس من أكبر المشكلات التي تواجه الإنسان في الوقت الحاضر حيث يؤدى تعرض الإنسان وتناوله لهذه المعادن إلى حدوث بعض الأمراض مثل : الفشل الكلوي – والذي زاد زيادة مخيفة في الآونة الأخيرة .

ويؤدى هذا النوع من التسمم إلى خلل في وظائف الكبد وزيادة حالات الإجهاض والأنيميا وقد يؤدى كذلك إلى حالات من التخلف العقلي ترجع إلى التأثير الضار لهذه المعادن على الجهاز العصبي .

والأغذية الأكثر عرضة للتلوث بالمعادن الثقيلة هي : أسماك المياه الملوثة بالمجارى ومخلفات المصانع وكذلك الخضر والفاكهة المزروعة على جوانب الطرق حيث يعرضها ذلك للتلوث بعادم السيارات ، هذا بالإضافة إلى الأغذية غير المغلفة كذلك لمثل هذا التلوث الأغذية المعلبة – خاصة الحمضية منها – والتي يستخدم الرصاص في لحام عبواتها .

ومن الأمراض المتعلقة بالغذاء أمراض القلب وضغط الدم وهو ما يعبر عنه زيادة نسبة الكوليسترول في الدم " والكوليسترول هو ذلك الدهن الحيوانى الذي نتناوله في الطعام ويجرى في الدم وله حد طبيعى ونسبة طبيعية في الجسم إذا زادت هذه النسبة فإن جزءا من هذه الزيادة يلتصق ويترسب على جدار الشرايين فإذا استمرت الترسيبات على جدار الشرايين تصبح مجارى الشرايين ضيقة تدريجيا وتحد من حرية وسرعة جريان الدم الواصل من الشرايين إلى عضلة القلب ، فإذا حدث انسداد للشرايين تكون نتيجة ذلك جلطة في القلب ؛ فزيادة الكوليسترول هي أحد العوامل الرئيسة التي تؤدى إلى الإصابة بأمراض القلب والشرايين(١) .

● علاج مشكلة التلوث الغذائى من منظور السنة النبوية:

إن الوقاية خير من العلاج وللحماية من تلوث الغذاء يجب منع حدوثه أولا وذلك باتباع القواعد العامة لنظافته ووقايته من تأثير البكتريا والفيروسات ومخالفة العادات الغذائية السيئة التي تؤدى إلى حدوث بعض الأمراض مثل "البلاجرا والأسقربوط والكساح

(١) عبد الكريم التاجورى ،"من إعجاز السنة النبوية: العلاج بالتلبينة"، مجلة الأزهر ، ج(٣) السنة(٧٦) ،(القاهرة : مجمع البحوث الإسلامية،مايو ٢٠٠٣م)، ص١٤.

ولين العظام والأنيميا الخبيثة "[1]، ولاشك أن تلوث الغذاء صورة من صور الفساد والضرر {وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ..... }

(الأعراف من الآية: ٥٦)

ولقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يأخذ بالأسباب في منع حدوث التلوث الغذائي فيقول: أغلقوا الأبواب وأوكئوا السقاء وأكفئوا الإناء وخمروا الإناء وأطفئوا المصباح فإن الشيطان لا يفتح غلقا ولا يحل وكاء ولا يكشف إناء وان الفويسقة تضرم على الناس بيتهم [2].

ومن خلال الحديث السابق نستنتج أنه يجب تغطية الطعام قبل النوم وذلك منعا لتعرض هذا الطعام لحشرات الليل وما أكثرها وكذلك تخمير الإناء هو تعريضه لدرجة من الغليان تحفظه من الإفساد وحفظه في أماكن معدة لحفظه وهو ما ينطبق عليه اليوم في الوقت المعاصر الثلاجات فقد كانت هناك أوانى في عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) تصنع من جلود الحيوانات تحفظ الطعام فيها وكذلك مياه الشرب كما أمر الرسول الكريم بإكفاء الإناء وذلك منعا لتعرضه للوثات قد تضر بالفرد لأنه يستعمله في الشراب أو الطعام ومن هذه الملوثات الفأرة وهي تدخل بيوت الناس ليلا فتأكل من الطعام المكشوف وتشرب من الإناء الموجود أمامها مما يعرض الأفراد إلى الإصابة بالأمراض المختلفة والتي تنتقل عن طريق الطعام المأكول من قبل الفويسقة (الفأرة) وما ينطبق على الفأر ينطبق على الصراصير باختلاف أنواعها والنمل والذباب وغيرها من الآفات التي تتعرض بشكل مباشر للغذاء.

---

(١) محمد كمال يوسف ، عادات ومعتقدات غذائية ، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٢) البخاري ، الأدب المفرد ، مرجع سابق، ص ١٥٧.

" يقول الشيرازى : " يكتب المحتسب في دفتره أسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم فإن الحاجة تدعو إلى معرفتهم ويأمرهم بنظافة أوعية الماء وتغطيتها ، وغسيل المعاجن ونظافتها وما يغطى به الخبز ، وما يحمل عليه ، ولا يعجن العجان بقدميه ولا بركبتيه ولا بمرفقيه لأن في ذلك مهانة للطعام ، وربما قطر في العجن شيء من عرق إبطيه ويديه فلا يعجن إلا وعليه ملعبه – ثوب من غيركم – أو بشت مقطوع الأكمام ويكون ملثما أيضا لأنه ربما عطس أو تكلم فقطر شيء من بصاقه أو مخاطه في العجن ويشد على جبينه عصابة بيضاء لئلا يعرق فيقطر منه شيء في العجن ويحلق شعر ذراعيه لئلا يسقط منه شيء في العجن وإذا عجن في النهار فليكن عنده إنسان في يده مذبة يطرد عنه الذباب "(١) .

وفي حديث الشيرازي السابق يقرر أسسا هامة في عمل المخابز والقائمين عليها ويفترض شروطا غاية في الدقة والنظافة وهذا من أجل المحافظة على صحة الإنسان فقد قرر دستورا يأخذه القائمين على شركات المطاحن والمخابز ليضعوه أمامهم ويطبقوه ويجعلونه من المواصفات القياسية للحصول على جودة الإنتاج والصحة فقد قرر الآتي : -

١. معرفة أماكن المخابز بدقة حتى يسهل مراقبتها بين الحين والآخر نظافة الأوعية التي تخبز فيها وتغطيتها من ملوثات البيئة المحيطة .
٢. غسل المعاجن التي يعجن فيها وعدم تعرضيها للوثات البيئة وكذلك نظافة الألواح التي يقطع عليها الخبز ومراعاة تغطيتها بعد تقطيعها وعند ذهابها للفرن .
٣. كما يقرر مبدأ أرساه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو احترام الطعام وعدم إهانته فقد قرر أنه لا يستعمل قدميه ولا ركبتيه ولا مرفقيه في العجن من أجل احترام هذا الغذاء .

---

(١) محمد عبد القادر الفقى ، مرجع سابق، ص ١٦٤.

٤. كذلك عند عملية العجن يراعى الآتى : ارتداء ملابس خاصة تمنع نزول العرق وتتميز بسهولة الحركة للخباز وكذلك حلق شعر الإبطين واليد ؛حتى لا يقع شيئا في العجين ووضع عصابة بيضاء على رأسه ومواضع العرق من أجل ألا يسقط عرقا في العجين كذلك لابد أن يكون ملثما حتى لا ينزل مخاط أو بصاق في العجين أثناء العمل ويقرر أيضا لابد من وضع شخص مهمته إبعاد الذباب والهامات أثناء عملية العجن..

وكل هذا يعد قانونا واجب التنفيذ على القائمين بالمخابز وحتى نضمن عدم تلويث الغذاء أو الخبز بمعنى أصح وهو الغذاء الذي يعتمد عليه أكثرية البشر.

كما أن الغذاء سبب رئيس في كثير من الأمراض حيث أعلن ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قال " ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه بحسب الآدمي ثلاث أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه" (١) فامتلأ البطن بالطعام يصيب بالأمراض بل بالتبلد الفكري فرسول الله (صلى الله عليه وسلم) يريد مسلما قويا قادرا على تحمل التبعات المنوط بها ولا يتم ذلك في حالة امتلاء البطن بالطعام ناهيك عن أمراض السمنة وما يتعلق بها من أمراض ظهرت بكثرة في العصر الحديث حيث هنالك الكثير من الأمراض التي تتعلق بالسمنة منها السكر وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين وأمراض القلب .

ومن الجدير بالذكر أن يتناول الباحث آداب الطعام كما قررها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد وضع الرسول المربي آدابا وضوابط إذا التزم بها المسلم لآمن طعامه من التلوث الغذائي ، فقد سمع عمر بن أبي سلمة يقول : كنت غلاما في حجر رسول الله

---

(١) النيسابورى ، المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٣٦٧.

(صلى الله عليه وسلم) ، وكانت يدي تطيش في الصحفة (إناء الطعام) فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك "[١] وقال : " وإذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء " [٢] وقال أيضا " تنزل البركة وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه "[٣] كل هذه آداب للطعام ، تكسب الإنسان إذا ما ربى عليها ، عادات الضبط والانتظام والحساسية الاجتماعية في تناول الطعام ، وهو جزء من العمل على الحد من الشهوة للطعام لمجرد إشباعها فقط ،ويمكن استنتاج آداب الطعام كما وردت في الأحاديث السابقة كما يلي:

١. التسمية في أول الطعام .
٢. أن لا يملأ بطنه بالطعام .
٣. لا يعيب المسلم طعاما .
٤. على المسلم أن يأكل مما يليه
٥. الاجتماع إلى الطعام.
٦. التنفس في أثناء الشراب خارج الإناء .
٧. كراهة الشرب من فم القربة ونحوها
٨. أن يحمد الله في آخر الطعام والشراب .
٩. القناعة في الطعام .
١٠. نظافة الآنية قبل الطعام وبعده .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص١٩٩.
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص٢٣٣.
(٣) النيسابورى ، المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص١٢٩.

هذه النصائح النبوية لو طبقت لما أصبح إنسان العصر الحديث يعانى من الأمراض الكثيرة إنها تربية بيئية سليمة تدرك الأفراد إلى حياة صحية سليمة بعيدة عن العلل والأوبئة.

واليوم وبعد التقدم الهائل في وسائل الطب والتكنولوجيا ينادى العلماء بالرجوع إلى التداوى بالأغذية حتى إن هناك مقولة تقول " **اجعل غذاءك دواءك** " .

فقد قرر العلامة أبو بكر الرازى في القرن التاسع الميلادى مبدأ هاما في العلاج حيث يقول: (**إذا قدرت أن تعالج بالأغذية ، فلا تعالج بالأدوية ، وإذا قدرت أن تعالج بدواء مفرد ، فلا تعالج بدواء مركب**) ولذلك سارع الخلفاء العباسيون إلى تنظيم مهنة الطب والصيدلة ولم يسمحوا إلا لمن حصل على ترخيص بمزاولتها ولا يحصل على هذا الترخيص إلا من أدى امتحانا أمام لجنة الحسبة التي تشكلها الدولة"(١) .

وفي تطبيق للعلاج بالأغذية يوضح الباحث عبد الكريم التاجورى أهمية العلاج بالتلبينة وهذا مستنبط من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد قاله منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان يحدثنا فيه عن دقيق الشعير بنخالته وأهميته يطابق تطابقا غاية في الدقة ما توصل إليه العلماء في الجامعات ، "**فعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها ثم قالت كلن منها فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول :"التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن**"(٢)."وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون على الهالك وكانت تقول إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه

---

(١) محمد عبد القادر الفقى ، مرجع سابق، ص ١٥٤.
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق، ج ٥ ، ص٢٠٦٧ .

وسلم) يقول ثم إن التلبينة تجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن "(١) و"عن عائشة (رضى الله عنها) أيضا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عليكم بالبغيض النافع التلبين يعني الحسو قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى أحد من أهله لم تزل البرمة على النار حتى يلقى أحد طرفيه يعني يبرأ أو يموت "(٢)

":كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا قيل له إن فلانا وجع لا يطعم الطعام قال :عليكم بالتلبينة فحسوا إياها فوالذي نفسي بيده إنها لتغسل بطن أحدكم كما يغسل أحدكم وجهه بالماء من الوسخ "(٣).

وكذلك قالت (رضى الله عنها)أيضا ثم كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء فصنع ثم أمرهم فحسوا منه وكان يقول إنه ليرتو فؤاد الحزين ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها"(٤)

التلبين : "هو الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللبن ومنه اشتق اسمه "(٥).

"قال ابن القيم : وهذا الغذاء هو النافع للعليل ، وهو الرقيق النضيج ، لا الغليظ النيئ ،وإذا شئت أن تعرف فضل التلبينة فاعرف فضل ماء الشعير ، بل هي ماء الشعير لهم فإنها حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته والفرق بينه وبين ماء الشعير أنه يطبخ صحاحا والتلبينة تطبخ منه مطحونا وهي أنفع منه لخروج خاصية الشعير بالطحن وقد تقدم أن للعادات تأثيرا في الانتفاع بالأدوية والأغذية وكانت عادة القوم أن يتخذوا ماء الشعير منه مطحونا لا صحاحا وهو أكثر تغذية وأقوى فعلا وأعظم جلاء وإنما اتخذ أطباء

---

(١) المرجع سابق،ج٥، ص٢١٥٤.
(٢) أحمد بن حنبل ، مرجع سابق، ج ٦،ص١٣٨.
(٣) المرجع السابق ،ج٦،ص٧٩.
(٤) الإمام الترمذى ، مرجع سابق، ج ٤ ، ص ٣٨٣.
(٥) ابن منظور ، مرجع سابق، ج١٣،ص٣٧٦.

المدن منه صحاحا ليكون أرق وألطف فلا يثقل على طبيعة المريض وهذا بحسب طبائع أهل المدن ورخاوتها وثقل ماء الشعير المطحون عليها"(١).

ومن خلال ما سبق يتضح أن الرسول الكريم يعرف علاج الكثير من الأمراض عن طريق الغذاء وليس الأدوية المكلفة وهي غير صحية وقد قرر الرسول وأكد على نظافة الغذاء من بداية صنعه وحتى عند أكله فقد أمر الرسول الكريم بنظافة اليد قبل الأكل وبعده وكذلك استخدام السواك وقص الأظافر وغير ذلك من الأمور التي تدعو إلى نظافة الغذاء وهو ما يتناوله الباحث في الفصول التالية عند التحدث عن النظافة الشاملة لجسم الإنسان.

ومن خلال ما سبق لابد من اتباع الإرشادات التالية في ضوء السنة النبوية بما يتناسب مع العصر الحالي :

١. يجب الاهتمام بالنظافة الشخصية وغسل الأيدى بالماء النظيف والصابون قبل تجهيز الطعام والتأكد من نظافة وغسل أدوات وأماكن إعداد الطعام في كل مرة قبل استخدامها لتجهيز غذاء جديد وذلك لتفادي انتقال مسببات التلوث من الغذاء إلى الآخر.
٢. يجب غسل الخضر والفاكهة غسلا جيدا مع استخدام فرشاة غسيل خاصة – ويفضل نقعها لمدة معقولة في الماء الجاري – مع تقشير الخضر والفاكهة القابلة للتقشير مثل : البطاطس والخيار والكوسة والجزر والتفاح ...إلخ حيث سيؤدي ذلك إلى تقليل التلوث بالميكروبات والمبيدات والمعادن الثقيلة .

---

(١)عبد الكريم التاجورى ، مرجع سابق، ص١١.

٣. ينصح بإزالة تجمع الدهون في كل من اللحوم والدواجن حيث ثبت أن بقايا المبيدات تتركز في الدهون ولذلك يجب التقليل من استهلاك المناطق الغنية بالدهن .

٤. ويفضل عند طهي الطعام أن يتعرض لدرجات حرارة عالية ولمدة طويلة لضمان التخلص من جزء كبير من مسببات التلوث .

٥. ينصح بالتركيز على استهلاك الأغذية الطبيعية مثل التلبينة التي أرشد عنها الرسول (صلى الله عليه وسلم) والإقلال قدر الإمكان من الأغذية المضاف إليها مكسبات الطعم والرائحة والصبغات الصناعية غير المصرح باستخدامها.

٦. يفضل التأكيد على نظافة خزانات المياه بصفة دورية كل شهر حيث تعتبر مناطق لتجمع مسببات تلوث المياه ، لذلك يفضل الرقابة على خزانات الماء لتقليل التلوث الميكروبي وينصح باستخدام مرشحات المياه (الفلتر) مع ضرورة تنظيفها صباح كل يوم .

٧. كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يدعو إلى حفظ الطعام وتخميره، وبتطبيق ذلك في العصر الحاضر يراعى في حفظ الطعام وأنواع الأغذية المختلفة في الثلاجة والفريزر ما يلى :-

- وضع الفاكهة والخضر بدرج الثلاجة قبل الاستهلاك وذلك لوقف نمو ما قد يكون بداخلها من يرقات الحشرات والتقليل من أضرارها .
- عدم تجميد وتليين اللحوم والدواجن والأسماك أكثر من مرة ويفضل وضعها في عبوات نظيفة بعد تجزئتها إلى أجزاء صغيرة مناسبة بحيث يمكن طهيها وهي مجمدة مباشرة .

- تناول الخبز المحفوظ في الفريزر أو الثلاجة بعد خروجه مباشرة وذلك تلافيا لتعرضه للعفن وعدم استهلاك أى جزء منه مصابا بأية نموات خضراء أو سوداء أو بيضاء .
- تفادى حفظ الأطعمة الطازجة مع الأطعمة المطهية أو السابق إعدادها مع مراعاة تنظيف أو تغطية كل منها على حدة .

١. يقرر الرسول الكريم أن الطعام له غايته وهي بناء الجسد بالقدر الذي يحتاجه الجسد على أن لا يخضع الإنسان لشهوة الطعام ويصير عبدا لها .

٢. كما يقرر أيضا (صلى الله عليه وسلم) أن الطعام له آدابه التي يتضافر العقل مع الجسم في التحكم فيها بناء على الضوابط التي يربى عليها الإنسان والتي حددتها السنة النبوية .

مشكلة التلوث الأخلاقي:

هناك حقيقة هامة هي: مجتمع بلا أخلاق يساوى بناء بلا أساس وهذه حقيقة ومسلمة تفرض نفسها ،وتملى على الإنسان أن يراجع نفسه فيما يدرس وفيما يتعلم وفيما يتصرف ، والتربية سلوك قبل أن تكون مجرد معلومات نرددها دون فهم وتطبيق .

والتقويم في المدارس والجامعات يؤكد على ما هو معرفي ويتجاهل أهم ما في النفس البشرية وهو الجانب الوجداني والذي تعتبر الأخلاق ضمن أبعاد هذا الجانب وليس لها مكان ضمن درجات الطلاب على مستوى المراحل التعليمية ، وتلك هي الحقيقة الحاضرة والغائبة في نفس الوقت .

ومع كل يوم يمر كانت وسائل الإعلام تطالع البشر بنشر جرائم مختلفة بعضها يتمثل في التعدي على البيئة في صور مختلفة (منها ما يتعلق بتهديد صحة المواطنين ويهدد

الأمن القومي) والسؤال لماذا كل هذا والإجابة مرجعها إلي غياب الضمير وغياب الخلق وتلوث الخلق هو الأساس في كل ما يحدث من مخالفات وحتى تتضح الحقيقة علينا أن نعرض لكم أبعادها .

ويعد التلوث الخلقي من أخطر أنواع التلوث على الإطلاق ، ذلك لأن مسألة السلوك الأخلاقي تعد بمثابة الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أي نشاط إنساني ، فهي القوة التي تنظم الحياة الاجتماعية من كل جوانبها التعبدية والتعاملية ، ومن هنا فإن افتقاد الإنسان للسلوك الأخلاقي الطيب ، ينعكس وبصورة سلبية على تعاملاته فربما يكون سببا في إحداث أي نوع من أنواع التلوث في البيئة التي يعيش فيها ، ولأن البيئة النظيفة تحتاج إلى إنسان لديه من القيم الخلقية ما يجعله يغار على تلك البيئة ويسعى جاهدا للمحافظة عليها ،باذلا جهده ووقته وماله من أجل خدمتها والدفاع عنها .

وعلم الأخلاق نظري وعملي، "والنظري هو المسمى بـ "فلسفة الأخلاق " أو "علم الأخلاق النظري "، وهو من علم الأخلاق العملي بمنزلة أصول الفقه من الفقه، فهو شأن الخواصّ والمجتهدين،ولا يطلب من غيرهم إلاّ كما تطلب النافلة بعد تمام الفريضة. ولذلك لا نجد له من الأقدمية، ولا من الشمول ما لعلم الأخلاق العملي"(١)

والفرق بينهما أيضاً "أن علم الأخلاق العملي نفسه هو أيضاً من قبيل النظر لا العمل، وإن كان العمل مادته كما هو مادة العلم النظري، مع هذا الفارق الوحيد بينهما: وهو أن العمل الذي هو موضوع العلم العملي أنواع من الأفعال لها مثال في الخارج، كالصدق والعدل ونحوهما؛ بينما موضوع العلم النظري هو جنس العمل المطلق، وفكرته المجردة، التي

---

(١) أحمد كفتارو ، " دور الاجتهاد في الفكر الإسلامي " ، الإسلام والقرن الحادي والعشرون ، المؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنعقد بالقاهرة في الفترة من ٢-٥ يولية ١٩٩٨م ،(القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،١٩٩٩م)، ص١١.

لا يتحقق مسمّاها خارجاً إلاّ ضمن الأنواع التي يبحث عنها العلم العملي، تلك الأنواع التي تعد من قبيل الوسائل لتحقيق الخير المطلق، أو الفضيلة الكلية التي يبحث عنها العلم النظري. وهكذا يمكن اعتبار القسم العملي "فناً " أي: علماً تطبيقياً بالنسبة للقسم النظري ويمكن اعتباره في الوقت نفسه "علماً نظرياً" بالقياس إلى ضروب التخلّف، وأساليب السلوك؛ التي هي التطبيق الفعلي الحقيقي لقواعد ذلك العلم "فالأخلاق في جانبها العملي أمر مكتسب يخضع للممارسة والتعود حتى يتطابق مع النظري المجرد".(١)

وإذا كانت التربية تتناول قوى الإنسان وملكاته فإنّ عمل الأخلاق هو توجيه هذه الملكات والأعمال نحو الاستقامة، وجعلها عادات سلوكيّة راسخة، لذلك كله فإنّ إعداد الشباب إعدادًا خُلُقياً يحتاج إلى أن نحدّد أولاً الأهداف التي نسعى إليها ثم الوسائل الموصلة إلى الأهداف.

أهداف الإعداد الخلقي للشباب(٢):

١- تغيير اتجاهات الشباب النفسيّة والفكريّة المتعارضة مع السلوك الاجتماعي المرغوب فيه إلى التغيير المرغوب فيه، والمتناسب مع عقيدة المجتمع، وقيمه،ومظاهر سلوكه الخلقي؛ وهذا يقتضي إزالة التناقض بين الأنظمة والقوانين المسيّرة للحياة من ناحية ورغبات المجتمع وتطلعاته وآماله المستمدة من عقيدته أخلاقه من ناحية أخرى حيث تعاني مجتمعاتنا من تباين القوى والعوامل المؤثرة فيه، والموجّهة لسلوك الشباب؛ حيث تتعدد الاتجاهات السلوكية وتتعارض كثيراً.

---

(١) صلاح عبد السميع عبد الرازق ، التلوث الأخلاقي .٢٠٠٣/٨/١٥م
Available [online] www. Slah.jeeran.com .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب ، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية : المفهوم – المنهج – المداخل – التطبيقات ، (الرياض : دار عالم الكتب ، ١٩٩٦م)، ص ١٥٢.

٢ـ ربط التقدم الاقتصادي، والتكيّف الاجتماعي بالأخلاق، فالتقدّم الاقتصادي لا يعتمد على ما تملك الأمة من إمكانات مادية، وقوى بشرية متعلمة مدربة فحسب، بل على ما يتحلّى به الأفراد العاملون المنتجون من سلوك أخلاقي يحكم علاقات الإنتاج، ويحقق التعاون، ويعمق الإحساس بالمسؤلية، ويصون الحقوق العامة والخاصة، ثم ما يساعد الأفراد على زيادة التكيّف الاجتماعي والتوافق النفسي في المجتمع.

٣ـ تحقيق التوازن بين القيم الأخلاقيّة النظريّة والقيم الممارسة في المجتمع، والأخذ من العادات والتقاليد بما يتمشى مع قيم الإسلام الثابتة؛ التي يتطور الناس ليرتقوا إليها وليمارسوها في صور أفضل من ممارستها في أجواء الجهل والتخلف. وهذا التوازن هو الذي يحقق ما يسمى بالتكيّف مع المتغيرات، ويساعد على إعادة النظر في العادات والتقاليد الاجتماعية لتتطابق كلها مع قيم الحياة التي يتطور الناس حولها، ويغيّرون من أساليبهم وطرقهم لملاءمتها.

علاج مشكلة التلوث الأخلاقي من منظور السنة النبوية :

إن الإنسان هو المسئول الأول عن تلوث البيئة بجميع أنواعها ولكن هناك مشكلة اجتماعية لم تحظَ باهتمام الكثير من المهتمين بشئون البيئة أو التربية البيئية ألا وهي مشكلة التلوث الأخلاقي.

إن التلوث الأخلاقي من أخطر المشاكل البيئية فهي تعرض المجتمع للفقر المدقع واحتباس المطر وانتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة والجدب وتسليط الأداء وإثارة الحروب وإخلال التوازن النفسى والاجتماعى وبالتالى البيئي في المجتمع والدليل نجده في الحديث النبوي الشريف فقد روى عن عبد الله بن عمر قال : أقبل علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن

تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم .([1]) ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) " إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه "([2]) وبذلك يشاهد في الحديث النبوي الشريف مدى ارتباط التلوث الأخلاقى بالفساد في المجتمع والبيئة ، فعدم وجود أخلاق أدل الأفراد اجتماعيا وبيئيا ومن خلال الحديثين السابقين يتبين أن :-

١- انتشار الفاحشة والرذائل يؤدى إلى الإصابة بالأمراض المختلفة ومنها الطاعون والأمراض التي لم تكن موجودة من قبل وهذا واضح في العصر الحالي من انتشار مرض الإيدز وهذا المرض السبب الرئيسى في حدوثه هو انتشار الفاحشة والزنا والاتصال الجنسى المحرم والشاذ مما أنزل الله عليهم مرضا جديدا لم يعرف من قبل وهو الإيدز (أو فقد المناعة الطبيعية) إلى أن يتوبوا ويعودا عما فعلوا.

٢- كما أن من أمراض العصر الغش بأشكاله المختلفة وهو يعد تلوثا أخلاقيا ومن أبرز صور الغش النقص في الميكال والميزان فالله (سبحانه وتعالى) يصيب هؤلاء بنقص في الأموال والطعام بالإضافة يسلط عليهم ظلم الحكام.

---

(١) الإمام القزوينى ، مرجع سابق ، ج٢، ص٢٢٦.

(٢) الزرقانى(محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقانى ،ت ١١٢٢هـ)، شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك، ج٣، (بيروت : دار الكتب العملية ، ١٤١١هـ) ، ،ص٤٤.

٣- وإذا منعوا زكاة المال -وهي الأموال التي تؤخذ من الأغنياء وتعطى للفقراء بمقدار وقواعد معينة وهي في خير المجتمع وصلاحه - أصابهم الله بالجدب وقلة الأمطار ولولا وجود كائنات أخرى في الأرض لما أنزل الله المطر وجعل هناك حياة.

٤- كذلك نقض عهود الله ومواثيقه وأحكامه يؤدى بالناس إلى تسليط الله عليهم عدوا يأخذ أموالهم ويصيبهم بالذلة والمهانة لأنهم نقضوا عهود الله وأحكامه .

٥- وأيضا عند يلجأ الأفراد إلى قوانين وضعية لا تمثل روح الإسلام والإيمان جعل الله بأسهم بينهم فيقتلون بعضهم البعض لأن هذه القوانين ناشئة عن الهوى وليس فيها حكم الله الذي يعلم حالات الإنسان في باطنه وظاهره.

*كما أن معيار الاهتمام بالبيئة في العصر الحالي يتمثل بالدرجة الأولى في وجود مجموعة من القيم الخلقية التي يتمثلها الإنسان ويعبر عنها في سلوكه ، وعلى سبيل المثال فإن قيمة النظافة تجعل الإنسان يمتنع عن إلقاء المخلفات في الشارع أو في أي مكان من الأماكن غير المخصصة لإلقاء تلك المخلفات ، وهو على قناعة بما يفعل .

*كذلك فإن الصدق كقيمة وفضيلة من الفضائل الهامة التي يتمثلها الإنسان تجعله لا يكذب أبدا مهما كانت الظروف والمبررات إلا في المواقف التي سمح فيها الشرع بالكذب والتي حددها لنا الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وهي (الإصلاح بين المتخاصمين وفي الحرب ، والرجل على زوجته لتدوم العشرة بينهما) فعن أسماء بنت يزيد "أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خطب فقال: ما يحملكم على أن تتابعوا على الكذب كما يتتابع الفراش في النار، كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب في خديعة حرب أو إصلاح بين اثنين، أو رجل يحدث امرأته ليرضيها"(١) .

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق، ج٦، ص٤٥٤.

والصدق يهدى إلى الإصلاح فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذابا "(١) ومن خلال الحديث السابق يتبين أن الصدق في القول والعمل يهدي إلى طريق الخير فإذا تناول المسلم قضاياه البيئية بنوع من الصدق مع نفسه ومع الآخرين والصدق مع المسئولين عن شئون البيئة قد يؤدي ذلك إلى صلاح هذه البيئة أما الكذب ووضع الرأس في الرمال كالنعامة فإنه يؤدي إلى تدمير البيئة وانهيارها .

وعن أهمية الخلق فقد أشاد الإسلام بالخلق الحسن ودعا إلى تربيته في المسلمين وتنمية نفوسهم ، وفي ذلك نجد الحق تبارك وتعالى قد أثنى على النبي (صلى الله عليه وسلم) بحسن خلقه فقال :

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝)[القلم:٥].

كما " سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة ؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: أحسنكم خلقا"(٢).كما "لقي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبا ذر فقال: يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر، وأثقل في الميزان من غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله قال: عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فو الذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلها".(٣) فالخلق مقياس صحبة رسول الله يوم القيامة وهي الطريق الذي يؤدى بالناس إلى الجنة فإذا تعامل الفرد

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٤ ،ص ٢٢١.
(٢) الإمام أبو بكر الهيثمي، ، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، مرجع سابق ، ص٤٧٣.
(٣) الإمام أبو بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مرجع سابق، ج٨،ص٢٢.

مع بيئته بحسن الخلق سواء كانت هذه البيئة حية أو غير حية فإنه يؤدي لا محالة إلى بيئة نظيفة خالية من الأمراض.

إن الأخلاق الإسلامية عنوانها الرحمة. الرحمة من الإنسان لأخيه الإنسان والرحمة من الإنسان للحيوان فلا يجهده، أو يحمله فوق طاقته، وقصة المرأة التي نص عليها الحديث على أنها عذبت بهرتها مشهورة، فهي لم تطعمها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض. والرحمة تكون من الإنسان للطبيعة فلا يعبث بثرواتها التي هي خيرات أمده الله بها. ويكفي أن نعلم بأن عدم التفريط بالثروة وصل لدرجة عدم الإسراف بالماء عند الوضوء حتى لو كان المسلم يتوضأ من ماء نهر جار، والرحمة مطلوبة أيضا من الإنسان لنفسه، فلا يطلب منه أن يحمل مالا يطيق، فالقاعدة.

(لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.....ۚ)

[سورة البقرة من الآية : ٢٨٦].

إن الحاجة تبدو ماسة اليوم أكثر من أي وقت مضى للالتزام بالخلق الإسلامي من أجل الخروج بالبشرية كلها إلى ساحة الإنقاذ بعدما أفسدت الفلسفات الوضعية ذات المنحى المادي القيم في معظم الأمم المعاصرة، وشوهت صورة الأخلاق مما جعل الناس يتخبطون بما نراه اليوم من فساد، وانتشار للرذائل، وانهيار شامل في القيم والمثل.

ولقد جاءت الأديان كلها بالدعوة إلى الإعداد الخلقي للنّاس، وجعلته على قمة أهدافها التوجيهية والتربويّة، وقد أكّد الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا المعنى في قوله: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(١).

---

(١) المرجع السابق، ج٨، ص١٨٨.

وباب الأخلاق باب كبير في السنة النبوية، وقبلها في القرآن الكريم، وقد اختلف العلماء في مفهوم الأخلاق، وعرّفوها تعريفات مختلفة؛ غير أنهم جميعاً يتفقون في صلة الأخلاق بالسلوك.

وأهمية الإعداد الخلقي للشباب أنّ الأخلاق مجالها الحياة كلّها، وسلوك الإنسان كلّه، وعلاقاته بربه وبنفسه وبالآخرين؛ بل وبالمخلوقات كلها.

فالإعداد الخلقي للشباب هو الذي يجعل من الصفات الحسنة، كالصدق والأمانة والإخلاص والوفاء، والشجاعة والعفة، والمروءة والعدل وغيرها عادات في سلوك الشباب وحركته الدائبة، كما تجعله نافراً في سلوكه اليومي من الصفات السيئة، كالحسد والحقد والخيانة والكذب، والظلم والغدر وغيرها، وبهذا الإعداد يتجنب الشباب مظاهر غير مرغوبة في السلوك الإنساني، كالحمق والتكبّر، والصلف والتهور، والخوف والجزع، وقبول الذل والمهانة، والخشونة والغلظة في معاملة المؤمنين.

إن المتأمل في واقع المجتمع في العصر الحالي ليلمس وبكل سهولة مدى التدهور الأخلاقي وانعدام العديد من القيم التي كانت تميز ذلك المجتمع ، حيث نرى انتشار الكذب بصورة كبيرة وانتشار الرذيلة، بل لقد أصبح الحياء عملة نادرة ، وانتشر التهور بين جموع الشباب ، وغاب التوقير والاحترام داخل الأسرة ، وتقطعت الأرحام ، وقل الإخلاص....الخ من المظاهر التي تعبر عن التدهور الأخلاقي .

ولعل الحديث عن مظاهر التلوث البيئي والتي منها على سبيل المثال (تلوث الماء - تلوث الهواء - التلوث الغذائي - التلوث الضوضائي) يرجع السبب المباشر في حدوثها إلى الإنسان ، ولو أحسن تربيته تربية أخلاقية بمفهومها الشامل لما أقدم على فعل ذلك ، وبذلك يرجع علاج المشكلات السابقة والتالية إلى مقدار ما يتمتع به الإنسان

من خلق قويم قادر على التعامل مع بيئته بحسن الأخلاق سواء أكانت هذه البيئة الطبيعية حية أم غير حية .

ولهذا وجب علينا أن نركز على دراسة السبب الأساسي وراء تلوث البيئة قبل أن ندرس مظاهر التلوث ، والسبب المباشر يتمثل في عدم وجود تربية أخلاقية ، وبالتالي وجود تلوث خلقي .

ومن خلال ما سبق يمكن الاسترشاد من خلال السنة النبوية في إعداد الشباب إعدادا أخلاقيا عن طريق البيئة الاجتماعية: حيث تبنى العلاقات بين الأفراد على أساس من السلوك الحسن والاحترام المتبادل، والتعود على الفضائل سلوكاً وتعبّداً، مثل: الإخلاص والأمانة، والمحبة والجد، والنظام والتعاون، والإخاء، والمودة والاحترام، والاعتماد على النفس والرحمة، والشفقة وغير ذلك لتكون البيئة عاملاً موجهاً لسلوك الأفراد، وميولهم، وغرائزهم وكل ذلك في نطاق التعاون بين بيئات التربية الثلاث: المدرسة - المسجد - المجتمع.

فالأسرة هي التي تغذي الصغار بالصفات الخلقية الحسنة عن طريق الممارسة اليوميّة، والسلوك الخلقي الحسن للوالدين،وترجمتهما لمعاني المسؤولية والصدق والأمانة؛ ليعرف الطفل الأخلاق سلوكاً طبيعياً عملياً قبل أن يعرفه في معانيه المجردة. أما المسجد فهو مكان الإشعاع الروحي والثقافي الذي يصوغ سلوك الناس فيه بما يناسبه من نقاء وطهر، وعفاف وتجرد، وانضباط والتزام.

المنهج الدراسي:

وللمنهج وسائله المباشرة وغير المباشرة في تربية الأخلاق، فالدروس الخاصة بالتربية الخلقيّة والتي تهدف إلى تعلم الفضائل، وتحض على العادات الطيبة والسلوك الحسن وسائل مباشرة، أما تهيئة الجو المدرسي الذي يتبادل فيه الطلاب التجارب

الحسنة، والخبرات الطيبة، ويتدربون فيها عملياً على ممارسة سلوك الفضيلة والخير والحق في بيئة اجتماعية صالحة موجهة فهذه هي الوسائل غير المباشرة أو العمليّة التي تعد أكثر نفعاً وأعظم جدوى من تعليم الأخلاق نظرياً لأنّ علم الأخلاق ودراسته شيء، وممارسته في السلوك اليومي شيء آخر.

الاتجاه العلمي

في إبراز محاسن الأخلاق الفاضلة، ومضارّ السلوك السيئ في حياة الأفراد والأمم،وذلك بالاستفادة من نتائج البحوث العلمية في مجالات علم النفس والاجتماع والفلسفة والطب، والتي أثبتت آثار السلوك الحسن والسلوك السيئ بما لا يدع مجالاً للمغالطة أو الإنكار؛ وقد اعتادت الأمم أن تنشر إحصاءات مفصّلة عن الجريمة ودواعيها والمسكرات والمخدرات، وأنواع الانحراف والشذوذ المختلفة، ونتائج ذلك كله على أوجه الحياة المختلفة، اجتماعياً، واقتصادياً، وبشرياً.

الرفقة الحسنة:

إذ أن الفرد يتأثر بمن حوله كما يتأثر بما حوله من بيئة يعيش فيها، وأسرة ينشأ فيها، ولذلك شبّه الرسول (صلى الله عليه وسلم) الجليس الصالح ببائع المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، فكلاهما مؤثر في صاحبه، والإنسان بطبعه مقلِّد لأصدقائه في سلوكهم ومظهرهم، وملبسهم فمعاشرة الأبرار والشجعان تكسب الفرد طباعهم وسلوكهم، بينما تكسب معاشرةُ المنحرفين الفرد انحرافهم أو تقبّل انحرافِهم.

دراسة سير الأنبياء والرسل والأبطال والنابغين في ميادين العلم والمعرفة، والقتال والحرب، وعلى رأس ذلك دراسة سيرة سيد الخَلْق صلوات الله وسلامه عليه؛ باعتباره

القدوة الأولى للبشرية، لأن دراسة هذه الشخصيات هي التي تبعث الروح الخيّرة في الناشئة وتجسّد فيهم معاني التضحية والفداء في سبيل المثل العليا، والمبادئ السامية.

كما أنّ دراسة هذه النماذج تساعد المنظمات الموجهة للشباب في تطبيق السلوك الأخلاقي والاجتماعي بما يؤكد القيم الأخلاقية المرغوبة، وبما يحقق التوازن بين عطاء الأسرة والمدرسة والمجتمع؛ في النواحي السلوكية والأخلاقية.

توحيد جهود الوسائل التربوية المتمثلة في البيت، والمدرسة، والراديو، والمسرح والتليفزيون، والكتاب، ومنظمات الشباب، فإذا كانت المدرسة أو كان البيت قائماً بالتربية الخُلقية، والمؤسسات الأخرى تقوم بما يعكسها فلا قيمة لجهد البيت أو المدرسة.

إن المدرسة هي أخطر مؤسسات التربية أثراً في حياة الناشئة؛ لما يمكث الطالب في التعليم من سنوات الصبا والشباب غير أن دور المؤسسات الأخرى لا يقبل عنها؛ حيث أصبحت كلها مراكز نفوذ وتسلط، واختراق للحواجز والبيوت، الأمر الذي يؤكد حتمية توحيد هذه الجهود منهجاً وتخطيطاً في سبيل تربية شباب الأمة على الخُلُق الجميل والسلوك الحسن المرغوب فيه..

مشكلة الفقر:

الفقر إحدى المشكلات البيئية الهامة والتي لم يكن ينظر إليها فيما مضى على اعتبارها مشكلة تمس البيئة من قريب أو من بعيد ولكنها الآن أصبحت تحظى بالاهتمام كمشكلة بيئية دولية وليست محلية فجميع دول العالم تنقسم إلى قسمين إما دول غنية وإما دول فقيرة.

وترجع أهمية الفقر كمشكلة بيئة إلى ما ينجم عنها من آثار سيئة على الصحة النفسية والصحة العامة ويظهر ذلك في صور من السخط والقلق كنتائج طبيعية من سوء

المسكن والتغذية وتفشى نسبة الأمية وما يستتبع ذلك من أخطار سيئة على الاقتصاد والإنتاج والأخلاق ،كما أن الآثار السيئة الفقر لا تقتصر على الفرد وإنما تمتد لتشمل الجماعة فتهدد أمنها وتحيل المجتمع إلى أفراد يتميزون بالعدوان والكراهية للغير.

وليست من المبالغة القول بأن الفقر سبب رئيسي للعديد من المشكلات البيئية الأخرى واضرب لذلك مثلا لدولة فقيرة ، هل في استطاعة هذه الدولة أن تنفق على التخلص من النفايات أم أنها تبحث عن طعام يسد رمق أفرادها ؟ بالطبع الإجابة للفرض الثاني .

كما أن الدول الفقيرة غالبا ما تكون مصدر لاستيراد اللحوم الفاسدة والأطعمة ذات درجة جودة ضعيفة ، حيث إنها غير قادرة على استيراد المواد الغذائية السليمة لأن أسعارها مرتفعة للغاية ، كما أن الدول الفقيرة تعتبر ملجأ الدول الغنية في دفن نفاياتها والأدهي من ذلك دفن نفاياتها النووية ذات الخطر الكبير على البيئة حيث تصدر من هذه النفايات ملوثات خطيرة قد تؤدي بالبيئة إلى دمار شامل كل ذلك من أجل حفنة من المال لتسد رمق شعوبها في الغذاء ولو أدركت الحقيقة لاختارت الجوع والحرمان أفضل من دفن نفاياتها النووية ذات الإشعاعات المميتة.

وإذا تركنا الجانب الدولي واتجهنا إلى الجانب المحلي ، وجد أن الفقر سبب رئيسي في تصدع بنيان الأسرة وانفراط عقدها وهو مرهون بتصدع تلك القيم في نفوس أفرادها ثم لم يلبث هذا الخطر أن يواصل الزحف على الأمة محطما ومدمرا وترتبط تلك الآثار السيئة بالفقر ارتباطا وثيقا بسوء توزيع الثروة مع احتكار القلة العاطلة الخاملة النصيب الأكبر على حساب الكثرة الكادحة العاملة .

فالفقر مع الإحساس بالظلم يورث الحقد والبغضاء اللذين يوقدان في القلوب نار العداوة التي تأتى على الأخضر واليابس فضلا عما تحدثه من إضعاف عاطفة الانتماء

للوطن إلى حد القضاء عليها كما تدفع الأفراد إلى حالة اللامبالاة فهي إذا مشكلة المشاكل التي تقف حجر عثرة تسد الطريق أمام محاولات إصلاح الأوضاع الفاسدة أو تعديل الموازين الجائرة والعدالة المرجوة والتكامل الإنساني المنشود ولا حل لها إلا في مقررات الدين الإسلامى الحنيف ومناهجه ذلك لأن لب هذا الدين وجوهره إنما هو في تحرير الإنسان من رق الفقر والعوز وإقرار حقه في الحياة الحرة الكريمة ، من منطلق إرساء دعائم التكافل الاجتماعي.

علاج مشكلة الفقر من منظور السنة النبوية:

إن الفقر من الآفات المضرة بيئيا على المجتمع فقد يؤثر الفقر على العقيدة والإيمان ويحدث اللامبالاة وعدم احترام الوطن والبيئة التي يعيش فيها الإنسان فالفقر يورث العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع مما يفسد البيئة سواء الاجتماعية أم الطبيعية فقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) "اللهم إني أعوذ بك من الفقر وأعوذ بك من القلة والذلة وأعوذ بك أن أُظلم أو أظلم"(١) وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "كاد الفقر أن يكون كفرًا"(٢) وقد سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "أى الذنب أعظم ؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك ،قال ثم أى قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك "(٣).

ومن خلال الأحاديث السابقة نستنتج أن الفقر هو مرض الشعوب النامية وهو مرض تفشى في الدول التي لا تطبق شرع الله حيث ينتشر الربا والرشوة مما يجعل الغني يزداد غنى والفقير يزداد فقرا وقد أمر الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بمحاربة الفقر

---

(١) أحمد بن شعيب ، المجتبى من السنن (سنن النسائى) ، (ج٨ ؛حلب : مكتبة المطبوعات الإسلامية ، ١٩٨٦)، ص٩٤.

(٢) القضاعى (محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعى، ت ٤٥٤هـ)، مسند الشهاب،تحقيق : حمدى بن عبد المجيد السلفي ،ج١،(بيروت:مؤسسة الرسالة،١٩٨٦م)، ص٤٢٣.

(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج١، ص٩٠.

بكل الوسائل الممكنة مع الاعتماد على الله فهي دعوة للعمل وكسب الرزق وعدم الاتكالية والتواكل فقد قال (صلى الله عليه وسلم " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف "(١) وقال " ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام ، كان يأكل من عمل يده "(٢) وما أكثر الأحاديث التي تتناول موضوع العمل وأهميته في محاربة مشكلة الفقر ، مما يدل على حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) لعلاج هذه المشكلة علاجا سريعا .

ومع ذلك فقد قرر الإسلام شريعة وهي الركن الثالث من أركان الإسلام ألا وهي الزكاة والتي تعتبر الحل الأمثل لمشكلة الفقر فالزكاة مبلغ معين يعطى إلى الفقراء من قبل الأغنياء وفقا لشروط ملزمة على الأغنياء ويعتبر من يخالفها فقد أخطأ في حق الله واعتبرت ذنبا كبيرا يستوجب المغفرة فقد قال (صلى الله عليه وسلم) : "إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ...."(٣) وقال : "لا صلاة لمانع الزكاة – قالها ثلاثا – والمتعدي فيها كمانعها .. والمتعدي فيها هو الذي يدفعها لغير أهلها" (٤).

ولقد أثبتت الدراسات والتجارب في دول العالم ، ولاسيما الدول الكبرى – أن الحد من ظاهرة التضخم المالي تتطلب اتباع سياسة منهاج الإسلام وتشريعاته ، وأن الزكاة تلك الفريضة الإسلامية التي تدعو للتقارب بين طبقات الأغنياء والفقراء هي وسيلة ناجحة

---

(١) المرجع السابق ، ج٤، ص٢٥٢.
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٣٧٠.
(٣) الطبراني ، مرجع سابق، ج٤ ، ص٤٩.
(٤) الإمام الربيع (الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري) ، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب، تحقيق : محمد إدريس وعاشور بن يوسف (سلطنة عمان : مكتبة الاستقامة ، ١٤١٥هـ) ، ص١٣٨.

للمساعدة على الحد من التضخم المالى ؛ حيث إن الزكاة عندما تعطى للفقراء تعتبر انتقالا للمنفعة المالية ، وبالتالي تزيد القيمة الحقيقية للمال ؛ لأن المال عندما يزيد مع الفرد تبعد القيمة النقدية لديه عن حد المنفعة ، فيستخدم كثيرا من المال في كماليات هذه الحياة ، على العكس من الفرد الذي يمتلك مالا أقل ، فهو ينتفع بكل أمواله في الاتجاه الصحيح قدر الإمكان .. وهكذا عندما ينتقل المال بهذه الصورة من الغنى إلى الفقير ، فإن ذلك سيؤدى إلى زيادة القيمة الحقيقية للنقد وهذا معناه الحد من التضخم والزكاة – أيضا – تؤدى إلى النمو الاقتصادي للفرد ، حيث إن الإسلام قد رفض اكتناز المال ، بل حارب أصحابه إذا اكتنزوه ؛ وبذلك تدفع الزكاة أصحاب المال لاستثمار أموالهم ؛ حتى تدر عائدا يمكنهم من أداء تلك الفريضة وإلا تآكل رأس المال بلا نفع أو جدوى .

ولذلك حثت السنة النبوية على استثمار المال في العمل والإنتاج ؛لأنه سيعود على المجتمع كله بالقوة والثراء ؛ لأن تنمية المال بالاستثمار ستزيد من عدد المنتفعين بالزكاة والصدقات ، فضلا عن إتاحة فرص عمل جديدة ودخول إضافية لمن يعملون في ماله وبالتالي يعود النفع على صاحبه وعلى المجتمع ؛ لأن احتياجاته ستصبح موفورة .

ومن ثم فقد أباح الإسلام لولى الأمر أن يتدخل للحيلولة دون تعطيل الأموال وتوجيهها إلى فرص الاستثمار ، وهناك التطبيق العملي لهذا الحق والذي يتمثل في موقف عمر بن الخطاب من أرض العتيق التي أقطعها الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أهمل استزراعها ، فاستعاد منه عمر مالم يقدر على استزراعه ووزعه على من يقدر من المسلمين على إحيائه [1] وعمر بن الخطاب يستند في ذلك إلى حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق "[2] .

---

(١) أبو بكر البيهقي ، مرجع سابق ،ج٦، ص١٤٨.
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق، ج٢ ، ٨٢٣.

ففي ذلك بيان تشريعي يدعو إلى عدم تعطيل المال والمتمثل هنا في أرض زراعية لم يستطع من اقتطعت له أن يستزرعها ويستفيد ويفيد المجتمع منها .

ولقد أثبت علم الاقتصاد الحديث أن فلسفة الزكاة تعتمد على ظاهرة اقتصادية هامة ، فهناك رأى اقتصادي يقرر أن "تناقص الميل الحدي للاستهلاك وتزايد الميل الحدي للادخار عند الأغنياء ، وتزايد الميل الحدى للاستهلاك وتناقص الميل الحدى للادخار عند الفقراء ويترتب على تلك الظاهرة زيادة الطلب الفعال ، ومحصلة ذلك انتعاش اقتصادى وبالتالى انتعاش بيئي سواء من ناحية الاستهلاك أو الاستثمار" (١)

ونستخلص مما سبق أن الشريعة الإسلامية والمبادئ التي أرساها وفصلها الرسول في الزكاة بكل دقة وحقوق الفقراء في أموال الأغنياء كذلك الأحاديث النبوية التي تناولت مقدار الزكاة وشروطها وكيفية أدائها والقائمين عليها وعملية توزيع الزكاة كل هذا أرساه الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وليس المجال هنا لتفصيلها وإذا تم تطبيق الزكاة التطبيق الصحيح لانعدم الفقر وبالتالى سوف يحد من التلوث البيئي لأن الفقير لا يشغله هذا التلوث بقدر ما يشغله طعامه وكيفية اكتسابه فرعاية الفقير هي في الأصل رعاية للبيئة التي يعيش فيها ،كما أن إطعامه تبين فلسفة السنة النبوية في ضرورة الحفاظ على الجسد الإنساني ومسئولية المجتمع عن التربية الجسمية لابنائه ، فبدون الجسد لن يقوى الإنسان على القيام بدوره في الحياة .وليس معنى ذلك أن يتجه المسلم أو ينتظر الزكاة والتواكل على ذلك بل العمل هو الوسيلة الأولى والأكيدة في حل مشكلة الفقر ولم تضعف الدول الإسلامية وهانت على أعدائها إلا بعد أن تركت العمل وجعلت أقواتها تعتمد على الآخرين ، فمن لا يملك قوته لا يملك حريته .

---

(١) محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام (السنة النبوية) ، ط٤، (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م) ، ص١٣٤.

مشكلة تزايد السكان

مر النمو السكاني في العالم عامة بمراحل متعددة تباينت بين النمو المتناهي في البطء في مرحلة والنمو البطيء في مرحلة ثانية والنمو المعتدل في مرحلة ثالثة والنمو السريع أو الخطير في مرحلة رابعة وهي مراحل تعبر بصورة أو بأخرى عن العلاقة بين معدلات المواليد من ناحية ومعدلات الوفيات من ناحية أخرى ،وتشير التقديرات إلى أن سكان العالم سيتضاعفون في الأعوام القادمة ليصل عددهم إلى حوالي ٨٠٠٠مليون في عام ٢٠٢٠م (١).

إذا كانت هذه هي صورة النمو السكاني واحتمالات نموه مستقبلا فهل يتم ذلك دون مشكلات بيئية متعددة ؟ ،إن الناظر في مشكلة السكان يجدها أم المشكلات البيئية المعاصرة ، ولعل في مقدمة هذه المشكلات مشكلة الغذاء وانتشار الفقر وتطالعنا الجرائد ونشرات الأخبار يوميا عن حالات الجوع التي تتعرض لها بلدان معينة وبالتالي زيادة الأمراض وانخفاض متوسط عمر الفرد المرتقب وبؤس أحوال الأطفال.

ومن الملاحظ أن ارتفاع معدل زيادة السكان يرتبط بالمستوى الغذائي ارتباطا عكسيا فنجد الدول التي تعانى من نقص الغذاء هي أكثر الدول نموا في السكان والدول التي تعانى من نقص معدل السكان والمواليد هي أكثر المدن تمتعا بالموارد الغذائية العالية.

كما أن المشكلة السكانية ليست مشكلة غذائية فقط بل العدد المتنامي من السكان يؤدى إلى جملة من المشكلات البيئية ومنها عدم قدرة الدول المكتظة بالسكان توفير تقنيات التحكم في التلوث بسبب تكاليفها الباهظة واحتكارها من قبل الدول الصناعية ، كما أن الزحف العمراني الناتج عن زيادة عدد السكان سوف يضر بالبيئة

---

(١) زين عبد المقصود ، البيئة والإنسان – علاقات ومشكلات ،(الإسكندرية : منشأة المعارف ، د.ت) ص ٥٢.

ضررا كبيرا حيث ستكون ندرة المياه وتقلص مساحة الأراضي الزراعية من المشكلات الناتجة عن تزايد عدد السكان .

وسيصاحب اتساع رقعة المناطق الحضرية – نتيجة تزايد عدد السكان – تفاقم مشكلات تراكم النفايات الصلبة والسائلة المنزلية والصناعية وتلوث هواء المدن من جراء الاحتراق غير الكامل للوقود في وسائل النقل والصناعات المختلفة ومحطات توليد الكهرباء التي عادة ما ينتج عنها العديد من الملوثات .

كما أن زيادة السكان ينتج عنها تلوث مياه الشرب، نظرا للضغط الهائل على موارد المياه النظيفة وبالتالي نفادها مما يضطر البعض اللجوء إلى وسائل أخرى تضر بالمياه وبالبيئة عموما وبالتالي على الإنسان نفسه وانتشار الأمراض مثل الكوليرا والتيفوئيد والتهاب الكبد الوبائي والفيروسي والذي زاد في المناطق المكتظة بالسكان .(١)

وقد زاد الفقر والجهل والزيادة السكانية والبطالة وتراكم الديون وفوائدها من تفاقم مشكلات تلوث وتدهور البيئة في الدول النامية حيث تتم معالجة تلك التحديات أو أحدها على حساب البيئة أو أحد عناصرها ، كتوسع في الزراعة على حساب الأراضي الرعوية أو الغابية وكذلك إنهاك التربة بالزراعة المكثفة والمتعاقبة ،إضافة إلى ما يخلفه النمو السكاني المتزايد من مشكلات تتعلق بتوفير الكهرباء والغذاء والماء والخدمات الاجتماعية والعلمية والتعليمية وفرص العمل وما يخلفه نمو المدن بفعل الزيادة السكانية وتدفق الهجرة من الريف من مشكلات بيئية عديدة.

---

(١) عبد العزيز بن أحمد العيسى ، " البيئة والتنمية المستدامة" ، مجلة المنهل ، مرجع سابق ، ص٤٠.

علاج مشكلة تزايد السكان من منظور السنة النبوية

قضية تنظيم الأسرة لتخفيف الضغط السكاني عن البيئة بما يحد من تدهور واستنزاف مواردها ، أصبحت من القضايا الحرجة التي تواجه الكثير من الدول الإسلامية بعد أن بدأ حجم السكان الحالي يضغط بشدة على موارد البيئة وأمام هذه القضية يثور سؤال حيوي هل يسمح الإسلام بتنظيم الأسرة أو يعارضه ؟ أو بمعنى آخر هل تنظيم الأسرة أمر جائز في الإسلام أو غير جائز ؟ الواقع أن قضية تنظيم الأسرة قضية تثير الكثير من الحرج والحساسية وهي قضية لم تحسم بعد بشكل نهائى حيث يثور من حولها الجدل ويختلف علماء المسلمين فيما بينهم بين مؤيد ومعارض ، بين من يصل بها إلى حد التحريم أو الإباحة .

إن سياسة تنظيم الأسرة ليست هدفاً في حد ذاتها ، وإنما هي غاية لتحقيق أهداف ومتطلبات تسعى ولاشك لخير المسلمين ، فإذا ما تحققت يصبح التخلي عن هذه السياسة وإطلاق الإنجاب في مساره الطبيعي أمراً وارداً ، إذا كان في إطلاق الإنجاب أيضاً ثمة ضرورية .

ليس من الضروري أن يكون تنظيم الأسرة عملية ملزمة لجميع الدول والشعوب الإسلامية، وإنما هي عملية اختيارية بحتة تفرضها ظروف المجتمع المسلم علي سبيل المثال هناك دول إسلامية تسمح ظروفها وإمكاناتها البيئية بالإنجاب غير المقنن ، بل قد تري ضرورة في تشجيع الإنجاب ، في حين أن هناك دولا أخرى أصبح تقنين الإنجاب وضبطه ضرورة حتمية ومعني هذا أن قضية تنظيم الأسرة قضية نسبية وليست مطلقة فإذا كان هناك ثمة ضرورة لتنظيم الأسرة كأن يكون وسيلة لحل مشكلة ما ، أو إنقاذ المسلمين من ضرر أو تهلكة ما ، فلا ضير ولا غضاضة في الدعوة إليه وتشجيعه . ويؤيد فكرة تنظيم الأسرة

عند الحاجة سواء أكانت لاعتبارات مرتبطة بالفرد أم بالدولة القواعد الإسلامية الفقهية " الضرورات تبيح المحظورات " ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " " تحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام ".

والإنسان يعيش في عالم أصبحت تحكمه الحدود السياسية للدول ، وأصبح لكل دولة قوانينها التي تضبط وتقنن حركة الهجرة الوافدة إليها . ومن ثم أصبح لزاماً على كل دولة أن تكيف حجم سكانها وفقاً لقدرات وإمكانات بيئتها حتى لا تعيش عالة على غيرها أو تضغط على مواردها بشدة بما يؤدي في النهاية إلى تدهورها واستنزافها السريع وما يواكبه من مشكلات كثيرة ، وهذا ما ينهي عنه الإسلام .

إذا كان البعض يرى أن الإسلام قد نهي صراحة عن تنظيم الأسرة من منطلق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يدعو إلى النكاح والإنجاب قال:" تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ينكح الرجل الشابة الوضيئة من أهل الذمة فإذا كبرت طلقها الله في النساء إن من حق المرأة على زوجها أن يطعمها ويكسوها "(١) " تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة " (٢) . فإن هذا الرأي يمكن الرد عليه بأن سياسة تنظيم الأسرة لا تتعارض مع هذين الحديثين الشريفين للاعتبارات التالية:

إن سياسة تنظيم الأسرة لا تعني " لا نكاح ـ لا تناسل ـ لا تكاثر " ففي ظل هذه السياسة يتم النكاح ويتم التناسل لنمو السكان ، كل ما في الأمر أنه يتم ضبط عدد أفراد الأسرة بما يحقق نمواً سكانياً معتدلاً يتواءم مع قدرات البيئة وإمكاناتها . فإذا كانت

---

(١) أبو بكر الصنعاني (أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ،ت ٢١١هـ) ، مصنف عبد الرازق، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، ج٦ ،(بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ) ، ص١٧٣.

(٢) أبو بكر البيهقي ،مرجع سابق، ج٧، ص٨١.

ظروف البيئة في دولة ما محدودة الموارد وإن إرهاصات عجز البيئة عن الوفاء باحتياجات السكان بدأت تلوح في الأفق ، فإن ترك السكان ينمون بشكل سريع دون ضبط يعتبر أمراً غير مقبول لأن استمرار هذا الوضع السكاني سيؤدي مستقبلاً إلى الضغط الشديد على موارد البيئة مما يعجل بتدهورها واستنزافها وخلق الكثير من المشكلات في مثل هذه الحالة يصبح ضبط النمو السكاني ضرورة لا تتعارض مع روح الإسلام وتعاليمه لأنه سيحمي البيئة من خطر التدهور والاستنزاف .

كما يؤدي تنظيم الأسرة إلى تخفيف الضغط على موارد البيئة بما يساعد على صيانتها والمحافظة عليها وليس ثمة شك أن صيانة البيئة والمحافظة عليها وهي ميراث الأجيال المتعاقبة دعوة إسلامية لتستمر في تأدية دورها في إعالة الحياة . ويؤيد هذا التوجه القاعدة الفقهية الإسلامية" ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب " فإذا كان ضبط السكان من عوامل حماية البيئة وصيانتها فإنه يصبح أمراً واجباً لأنه لا يتم حماية البيئة إلا به .

كما يؤدي تنظيم الأسرة إلى إحداث نمو سكاني معتدل وهو يتفق مع الدعوة النبوية إلى الاعتدال في كل شيء فقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: " كلوا وتصدقوا وألبسوا في غير إسراف ولا مخيلة" (١) ، كما أن الله تعالى عندما أشار في الآية الكريمة إلى فترة الرضاعة .

(وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ)

[سورة البقرة من الآية :٢٣٣]

---

(١) أحمد بن شعيب، سنن النسائي ، مرجع سابق، ج٥ ، ص٢٠.

فأعطى فرصة للمولود أن ينمو وينضج ويكون هناك فاصل بين الحمل والحمل فمعنى أن تتم الرضاعة سنتين أن ينتظر الزوجين فترة من الزمن حتى يتم الحمل الآخر فهي دعوة لتنظيم النسل ولو بطريقة أخرى ، وليس معنى ذلك أن قضية تنظيم السرة هي القضية المعنية بحل مشكلة السكان وبالتالي حل المشاكل البيئية بل على الإنسان أن يعمل ويجد ويستثمر كل طاقاته فالأرض كافية لأرزاق الناس ولكن سوء التوزيع وعدم تفكير الإنسان في العمل الجاد وهو ما جعل مشكلة الزيادة السكانية تظهر على السطح ، المثال على ذلك دولة الصين الشعبية وهي أكبر دولة من عدد السكان إلا أنها اتخذت خطوات جادة في سبيل استثمار هذا العدد الهائل من السكان وتصبح من أقوى الدول علما وتقدما تصدر إنتاجها إلى جميع أنحاء العالم وبقوة كبيرة مما يجعل مشكلة الزيادة السكانية عندها ليت بمشكلة .

وإذا ما حلل حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (تناكحوا تناسلوا ...) أو الحديث الآخر " تزوجوا الولود .... " تحليلاً دقيقاً فيه بعد رؤية وشمولية ، يمكن القول أنه ليس فيهما دعوة صريحة ضد تنظيم الأسرة كما يعتقد البعض ، وإنما هو في الحقيقة دعوة صريحة ضد الرهبنة فلا رهبانية في الإسلام . يقول الحق تبارك وتعالى : -

(وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ)

[الحديد: ٢٧]

فالرهبانية التي تعني المبالغة في التعبد الباطل الذي يحرم على الإنسان ما أحله الله له تعني لانكاح . لاتناسل ، وهذا على غير ما أمر به الله سبحانه وتعالى حيث تصبح الرهبنة دعوة للقضاء على البشرية ومن ثم كانت دعوة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)

للنكاح من الزوجة الولود الودود لأن فيه تكاثر وبالتالي استمرارية للحياة كما أراد الله سبحانه وتعالى .

والواقع إن الإسلام لم ينه صراحة عن تنظيم الأسرة ، وإنما نهي عن أمور أخرى مرتبطة بما كانت تمارسه بعض الجماعات والشعوب قبل الإسلام من سلوكيات غير إسلامية مثل وأد الأولاد ، وهو فعل محرم شرعاً بنص الآية الكريمة .

(وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)

(الأنعام ١٥١)

ومما يشير إلى أن الإسلام لم ينه صراحة عن تنظيم الأسرة أيضاً ما جاء في بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، واجتهادات فقهاء المسلمين الذين أباحوا العزل بهدف منع الحمل (تنظيم الأسرة) وبغض النظر عن الأسباب التي من أجلها كان يتم العزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده ، إلا أن ما نحب أن نؤكد عليه أن العزل في حد ذاته كوسيلة من وسائل منع الإنجاب غير منهي عنه صراحة في الإسلام فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال " كنا نعزل على عهد رسول الله والقرآن ينزل ...فبلغ ذلك رسول الله فلم ينهنا "(١) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) " نهي عن العزل للحرة إلا بإذنها"(٢)

وقد أباح أصحاب المذاهب الأربعة العزل عن الزوجة الحرة برضاها لأن لها حقاً في الولد ، أما العزل عن الأمة برضاها وبدون رضاها ومن هذا المنطلق فلا مانع إذن لمنع استخدام هذه الرخصة والتشدد في منعها طالما أن العزل من أجل تنظيم الأسرة يمثل ضرورة ملحة تفرضها ظروف الأسرة أو المجتمع ، وطالما أن تنظيم الأسرة ليس هدفاً في حد

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٢، ١٦٥.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق، ج١ ، ص٣١.

ذاته ، وإنما وسيلة لتحقيق خير المسلمين وحل مشكلاتهم البيئية خاصة مشكلة الغذاء والتصحر وتدهور الموارد وغيرها .

وقد أورد الإمام الغزالى (١) في كتابه " إحياء علوم الدين " إن من النيات الباعثة على العزل الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحترز من الحاجة ودخول مدخل السوء . فإن قلة الحرج معين على الدين ، لأن الوقوع في حرج دنيوي قد يفضي إلى حرج من دينه فيرتكب المحظور من أجل الأولاد.

وهنا تصدق القاعدة الفقهية الإسلامية " مما أدي إلى حرام فهو حرام " ومعني هذا إذا كانت كثرة الإنجاب سواء على مستوى الأسرة أو المجتمع ستؤدي إلى ارتكاب المحرمات بالنسبة للفرد السرقة ـ الرشوة ـ الاختلاس ، وبالنسبة للمجتمع سرعة استنزاف موارد البيئة وتدهورها وزيادة حدة مشكلة الغذاء والجوع وطلب المساعدات الغذائية وكلها تأتي من الدول غير الإسلامية مما يشوه صورة الإسلام ، فإن تنظيم الأسرة في هذه الحالة يعتبر ضرورة حتى لا يحدث المحظور وحتى لا نعيش عالة على غيرنا .

فإذا أخذنا العالم الإسلامي نجد أن عدد سكانه يتزايدون زيادة سريعة "بمعدل يبلغ في المتوسط ٢ر٥ ٪ سنويا ويسمح هذا المعدل للسكان أن يتضاعفوا في فترة زمنية قصيرة تبلغ حوالي ٣٠ سنه فإذا كان حجم سكان العالم الإسلامي في عام ١٩٨٥ قد بلغ ٨٢٠ مليون نسمة ، معني هذا أن الرقم سوف يقفز إلى ١٦٤٠ مليون نسمة في عام ٢٠١٥ وإذا ما استمر هذا المعدل قائماً دون تغيير، سيبلغ عدد سكان العالم الإسلامي إلى ٣٢٨٠ مليون نسمة عام ٢٠٤٥ م " (٢)

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالى، إحياء علوم الدين ، ج٨ (القاهرة ، دار الشعب ، د.ت) ، ص١٥١٨.

(٢) سالم مرزوق الطحيح ، البيئة من منظور إسلامي ، ٢٠٠٣/٨/١٠م ،

Available [online] (www.islamset.com).

وتتزايد الأعداد في العالم الإسلامي بصورة مخيفة ويخشى أن تكون هذه الزيادة هي بداية الضعف والكثرة التي تشبه غثاء السيل كما أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن قال: حب الدنيا وكراهية الموت"(١)، فإن قوة المسلمين ليست بالكثرة وإنما قوتهم بالإيمان والإخلاص لله وحسن العمل لا بزيادة الأعداد السكانية .

وهنا يبرز سؤال ملح هل إمكانات وقدرات البيئة في العالم الإسلامي قادرة على استيعاب هذه الأعداد الضخمة في أقل من ٦٠ سنة ، وهل البيئة قادرة على استيعاب هذه الأعداد دون استنزاف وتدهور سريع لمواردها ؟ أسئلة الإجابة عليها محيرة خاصة وأن بعض الدول الإسلامية بدأت قدرات بيئتها تنوء بما تضمه من سكان في الوقت الحاضر فماذا نتوقع عندما يتضاعف هذا العدد مرتين في حوالي ٦٠ سنه قادمة ، فهل ننتظر حتى تدهور موارد البيئة وتعجز عن الوفاء باحتياجات السكان ، أو من الواجب أن نخطط من الآن لتحقيق معدل نمو سكاني معتدل يتوازن مع قدرات وإمكانات البيئة ؟ فمن القواعد الفقهية الإسلامية " يجب دفع الضرر قبل وقوعه ومن ثم لا يجوز أن ننتظر حتى يقع الضرر لأن فيه مخالفة صريحة للشريعة الإسلامية .

من هذه المناقشة يتبين أن تنظيم الأسرة لم يحرمه الإسلام صراحة ،بل يتمشى مع دعوة الاعتدال التي يحض عليها الإسلام . فتنظيم الأسرة يعني النمو السكاني المعتدل الراشد الذي يتفادى به ومن خلاله الإفراط السكاني من ناحية ، والتفريط السكاني من ناحية

---

(١) أبو داود ، مرجع سابق ، ج٤،ص١١١.

أخرى فكلاهما له خطورته . فالإفراط يؤدي إلى زيادة السكان زيادة سريعة وبالتالي الإسراف في استخدام موارد البيئة واستنزافها ، والتفريط يهدد مستقبل النمو السكاني نتيجة التناقص المطرد في حجم السكان ، " كما يحدث الآن في بعض الدول الأوربية التي غالت في ضبط النسل إلى حد التفريط حيث بدأت" تسود موضة الأسرة العذراء " الأسرة غير المنجبة " وأصبح النمو السكاني فيها سلبياً كما حدث في ألمانيا الاتحادية ولكسمبورج والنمسا والدانمرك والمجر مما دفع حكومات هذه الدول إلى الدعوة لتشجيع الإنجاب المعتدل لتفادي مخاطر التفريط السكاني أو ما نسميه " الردة السكانية "(١) .

ومن ثم تتضح عظمة الإسلام والسنة النبوية في دعوته إلى الاعتدال حتى نتفادى مخاطر كل من الإفراط والتفريط كما أن تنظيم الأسرة عملية نسبية يحكمه بالدرجة الأولي مقدار حجم المنفعة التي يمكن أن تتحقق ، أو مقدار الضرر الذي يمكن أن نتجنبه فإذا كان تنظيم الأسرة وسيلة لدرء ضرر أو جلب منفعة أصبح أمراً مباحاً وضرورياً من القاعدتين الفقهيتين " درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة " يجب دفع الضرر قبل وقوعه "

ومن ثم يجب ألا نقف من تنظيم الأسرة موقفاً متشدداً لا لين فيه وإنما ننظر إلى القضية برؤية واعية هدفها الأول والأخير خير الإنسان برفع المعاناة عنه ، ومصلحة البيئة بتخفيف الضغط الشديد على مواردها .

إن ضبط السكان لايعني أنه الحل الأوحد لمشكلاتنا وحماية بيئتنا من خطر التدهور والاستنزاف ، وإنما هو حل أو وسيلة من ضمن مجموعة وسائل لحل مشكلاتنا وحماية بيئتنا . إذا يجب أن يرافقه بذل كل جهد ممكن في تنمية الموارد البيئة وحسن استغلالها واستخدام أفضل الوسائل لصيانتها حتى نحقق في النهاية علاقة طيبة إيجابية

---

(١) عزه عبد العزيز سليمان ، شنوده سمعان شنوده ، "الفجوة الإسكانية وإسكان الفقراء" ، الأهرام الاقتصادي،العدد١٠٤٥، (القاهرة : مطابع الأهرام ، يناير ١٩٨٩م) ، ص١٥.

متوازنة بين الإنسان وبيئته ، علاقة تصون البيئية وتحافظ عليها لتظل قادرة على العطاء الجيد إلى ما شاء الله ، وهذا ما أمرنا به الله سبحانه وتعالى .

خاتمة:

ليس هناك شك أن ما يعانيه المجتمع الإسلامي من مشكلات بيئية ، تسبب في إعاقة نمو، وبطء تقدمه وهذا نتيجة بعد المجتمع الإسلامي عن مبادئ التربية البيئية في السنة النبوية وكذلك بعد المسلم عن بيئته الطبيعية وذلك لتنظيم علاقته بجميع عناصر تلك البيئة الحية وغير الحية تنظيما دقيقا .

ولو التزم المسلمون بأسس ومبادئ التربية البيئية التي وضعتها السنة النبوية لما ظهرت المشكلات البيئية على اختلاف أنواعها .

إن التربية البيئية في السنة النبوية لم تهمل عنصرا من عناصر البيئة ولم تغفل عما يمكن أن يعرض له من المشكلات ويتضح ذلك باستعراض كل مشكلة من المشاكل البيئية في المجتمع الإسلامي المعاصر وما يجابهها من سبل تنظيم علاقة الإنسان بالعنصر موضع المشكلة .

فبصدد مشكلة تلوث الهواء وضعت التربية البيئية في السنة النبوية حلا لمشاكل تلوث الهواء لأنه عنصر هام في حياة الإنسان ولولا الهواء لما استطاع الإنسان العيش ولما كانت هناك حياة والرسول (صلى الله عليه وسلم) حريص على عدم تلويث الهواء وكذلك دعوته إلى استزراع الأشجار والنباتات والتي تعتبر مصفاة للهواء وتنقية له .

وكذلك مشكلة التلوث المائي وضعت التربية البيئية من خلال السنة النبوية حلولا كثيرة لمشكلات تلوث الماء منها مشكلات الصرف الصحي وإلقاء النفايات والسيطرة على الماء وهي قضية تشغل بال الكثير من دول العالم والماء ضروري للإنسان لأنه خلق منه ويعيش به .

وعند تناول مشكلة التلوث الضوضائي نجد أن السنة النبوية وضعت أكثر من حل لمشاكل الضوضاء والأصوات العالية التي قد تصيب الإنسان بالصمم أو ضعف السمع على أقل تقدير كما أن الإنسان لا يستطيع أن ينتج في ضوء الأصوات العالية والمرتفعة وذلك لفقدانه التركيز.

كما أولت السنة النبوية لمشكلة التلوث الغذائي عناية خاصة فقد نظمت حياة الناس غذائيا ووضعت أسسا وقواعد لابد أن يتبعها القائمون على صناعة الأغذية سواء مصانع كبيرة أو صغيرة لأن من الغذاء تعرف الأمراض كما أن معظم الأمراض التي تصيب الإنسان السبب المباشر لها هو الغذاء ولذلك أولت السنة النبوية بهذا الموضوع جل اهتمامها.

ورأس المشكلات البيئية هي مشكلة التلوث الخلقي ؛لأنها هي المسئول الأول عن جميع المشكلات البيئية فكل ما يفسده الإنسان في بيئته قاصدا الضرر والمنفعة الذاتية يعد تلوثا خلقيا وإصلاحه لن يتم إلا بإصلاح الضمير والسنة النبوية كفيلة بإصلاحه لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما يخاطب شخصيات متنوعة يعلم تماما كيف يعدهم خلقيا ويتعامل معهم بأساليب تجعل من الكلام سلوكا يتبع وكل هذا في مصلحة التربية البيئية.

واهتمت السنة النبوية بمشكلة الفقر وهي صنفت كمشكلة بيئية نظرا لأنها مرض الشعوب النامية والتي بها أكثر نسب التلوث لأن الفقر يضر بالاقتصاد وبالتالي على حساب مضار البيئية فمثلا عند إنشاء مصنع في بلد نامية نجد أن أقل ميزانية في تكلفة المصنع توضع للمردود البيئي لهذا المصنع لأن هم هذه الدول هو زيادة الإنتاج لسد رمق

شعوبها الفقيرة بغض النظر عن تلوث البيئة ولقد استعاذ الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الفقر ووضع العلاج المناسب له .

وأخيرا وضعت السنة النبوية علاجا شاملا لمشكلة تزايد السكان وهو من المفاهيم الكبرى للتربية البيئية التي أولتها السنة النبوية رعاية خاصة فقد شرع رسول الله تنظيم النسل وكونه حث على الزواج والتكاثر فذلك ليس من أجل الكثرة المهلهلة بل حث عليه لحفظ النوع وتكوين أسرة قوية قادرة على العيش وفقا لقدراتها ومتطلباتها كما شرع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) العزل في الحالات التي قد تضر بالإنسان ومشكلة تزايد أعداد أفراد الأسرة برغم محدودية الدخل تعد مشكلة بيئية بالدرجة الأولى لأن زيادة الأفراد ينتج عنها زيادة استهلاك موارد البيئية مما يجعلها غير قادرة على العطاء وبالتالى تحدث المشكلات البيئية السالفة الذكر.

وإجمالا يمكن القول بأن السنة النبوية قد قدمت إطارا لمواجهة جميع المشكلات البيئية بإبرازها للمسؤولية الكبرى التي تعق على عاتق الإنسان تجاه البيئة الطبيعية وعناصرها الحية وغير الحية والأمانة العظمى التي حملها الإنسان يوم استخلفه الله على الأرض.